سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى
عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الثانية | العدد (81) | 7 / 4 /2013
أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

مخيم اليرموك
الثورة السّوريّة
أصل الحكاية

أوضاع إنسانية صعبة ومتدهورة

ربع سكان سوريا بين نازح ولاجئ، والصليب الأحمر قلق من تدهور الوضع الإنساني

عدد النازحين الداخليين يصل إلى أربعة ملايين

اعتبرت المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة، أن عدد النازحين داخل الأراضي السورية بسبب النزاع القائم بلغ نحو أربعة ملايين فيما تطالب واشنطن بتسريع المساعدات الإنسانية.

وقالت مسؤولة الاتصال الإقليمية في المفوضية ريم السالم "إن الأرقام السابقة لبرنامج المساعدة الإنسانية لسوريا، لم تعد تعكس الوضع المتغير بسرعة".

وأضافت في رسالتها الإلكترونية، أن الأمم المتحدة تعمل مع شركائها على إعادة النظر في الأرقام والحلول الواجب تقديمها قبل نهاية السنة، وقدرت بنحو أربعة ملايين، عدد الأشخاص النازحين داخل الأراضي السورية منذ اندلاع النزاع في مارس 2011.

ومن المتوقع، أن يتم نشر هذا الرقم الجديد خلال الأيام القليلة المقبلة.

ويضاف الأربعة ملايين نازح داخل الأراضي السورية، إلى نحو مليون و200 ألف لاجئ أجبروا على مغادرة بلدهم، إلى الدول المجاورة في كل من: الأردن ولبنان وتركيا والعراق، حسب المفوضة العليا للاجئين.

وهذا يعني، أن ربع السوريين البالغ عددهم نحو 22 مليونًا، أجبروا على ترك منازلهم واللجوء إلى أماكن أخرى داخل أو خارج سوريا.

ومن شأن حدة الأزمة، أن تؤدي إلى قلة في موارد المساعدات التي تقدمها الأمم المتحدة، ومنظمات إنسانية ودول مانحة.

من جهتها، قالت المسؤولة الأمريكية لشؤون اللاجئين في وزارة الخارجية الأمريكية كيلي كليمنتس "ليس العنف وحده هو الذي يدفع الناس إلى الهرب بل هناك أيضًا تراجع مستوى المعيشة، وانقطاع الخدمات العامة وعدم قدرة الأطفال على التوجه إلى المدارس".

وبسبب حدة المعارك تراجع عمل الأجهزة الصحية فيما أغلقت مدارس أو متاجر أبوابها ما ترك السوريين بدون موارد، ومن تمكن من النزوح قد رحل فيما اضطر كثيرون لتغيير أماكن إقامتهم مرتين أو ثلاث مرات.

أمراض تهدد اللاجئين السوريين في العراق

وفي سياق متصل ذكرت المفوضية العليا يوم الثلاثاء 2 أبريل / نيسان، أن الاكتظاظ في مخيمات اللاجئين السوريين في العراق يزيد من مخاطر انتشار الأمراض في هذه المخيمات.

وأكد أدريان ادواردز المتحدث باسم المفوضية أن الاكتظاظ يؤثر على الوضع الصحي الذي يعد دون المستويات الإنسانية الآن.

وقال ادواردز في حديث للصحفيين إن "الاكتظاظ وارتفاع درجات الحرارة يزيد من احتمالات انتشار الأمراض وازدياد التوتر بين سكان المخيمات" مشيراً إلى أن عدد اللاجئين السوريين المسجلين في العراق تجاوز في نهاية مارس / آذار الماضي 121 ألف لاجئ.

وقال إن "مخيم "دوميز" في دهوك يأوي حاليا نحو 35 ألف لاجئ سوري حيث تتشارك آلاف العائلات خيامها مع اللاجئين الجدد، نظراً لأن نحو 3500 عائلة ليس لديها مأوى خاص بها. وتابع أن اللاجئين يصلون إلى كردستان بمعدل 800 إلى 900 لاجئ يومياً وهو ضعف العدد قبل ثلاثة أشهر.

عودة أكثر من 5000 لاجئ سوري من الأردن

وفي حركة نزوح معاكسة سجلت الأجهزة المعنية في الأردن وقوات حرس الحدود أكبر موجة عودة لاجئين سوريين إلى بلادهم يوم الخميس الفائت، حيث عاد 2400 لاجئ مقيم على أراضي المملكة، بحسب الناطق باسم شؤون اللاجئين أنمار الحمود.

وقال الحمود إن اليومين الماضيين شهدا أكبر موجة عودة لاجئين للأراضي السورية حيث بلغ عددهم 5150 لاجئًا تم نقلهم بواسطة الحافلات المجهزة إلى معابر آمنة بالتنسيق مع قوات حرس الحدود الأردنية.

وأكد الحمود أن جميع اللاجئين العائدين إلى بلادهم رجعوا بناء على طلبهم بعد أن تم توقيعهم على طلبات العودة لدى الأجهزة الأمنية بمخيم الزعتري للاجئين السوريين في محافظة المفرق.

وأشار إلى أن 28 حافلة تابعة للصليب الأحمر ونقليات من الأمن العام شاركت بعمليات نقل هؤلاء اللاجئين إلى نقاط العبور الحدودية مع الأراضي السورية.

استمرار اعتصام النازحين الفلسطينيين من سوريا في بيروت

أما في لبنان فيواصل النازحون الفلسطينيون من سوريا اعتصامهم المفتوح أمام مقر وكالة غوث اللاجئين "الأونروا" في بيروت، لليوم الرابع والعشرين على التوالي، احتجاجا على "السياسة المتبعة من وكالة الغوث في التعامل مع مطالبهم".

وتضامناً مع مطالبهم ومع كل التحركات التي ينفذها النازحون في العديد من المخيمات "من أجل دفع الأونروا إلى تحمل مسؤولياتها الكاملة تجاه النازحين على مختلف المستويات"، زار وفد من اتحاد الشباب الديمقراطي الفلسطيني في سوريا المعتصمين وتحدث باسمه راضي رحيم الذي أكد "دعم مطالب النازحين وحقهم في المسكن والإيواء المؤقت وفي الصحة والتعليم والإغاثة"، معتبراً أن "هذه مطالب تقع في صلب أولويات عمل الأونروا وواجبها تلبيتها فوراً"، داعيا كل الهيئات المعنية بقضايا الإغاثة سواء على المستوى الفلسطيني أو اللبناني أو الدولي إلى "زيادة عمليات التنسيق في ما بينها للاستجابة للحاجات المتزايدة للنازحين الفلسطينيين من سوريا".

الصليب الأحمر قلق من الوضع في سوريا

ومن جهتها أعربت اللجنة الدولية للصليب الأحمر عن قلقها من تدهور الوضع الإنساني السريع في سوريا، مبينة أن بعض المناطق تحولت إلى مسرح "للدمار والخراب".

وقال بيتر ماورر رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر في نهاية زيارة استمرت ثلاثة أيام إلى لبنان، الذي يستضيف 400 ألف لاجئ سوري: إن عمال الإغاثة تمكنوا من القيام بمزيد من الرحلات إلى مناطق تسيطر عليها المعارضة في سوريا على مدار الأسبوعين الماضيين.

وأضاف، أن عمال الإغاثة لم يندهشوا من الدمار والخراب في المناطق التي دخلوها لأول مرة ومن تزايد الحاجة إلى الغذاء والصرف الصحي والماء والدواء.

وتابع: "ما أمكننا تحقيقه ليس كافيًا، والاحتياجات تتزايد أضعافًا مضاعفة، بينما قدرتنا على تلبية الاحتياجات تتزايد ببطء".

ودعا ماورر إلى احترام منظمات الإغاثة، مشددًا: "عندما تكون لدينا قافلة على الطريق من دمشق إلى أي مكان في سوريا فمن الأهمية القصوى أن يسمح لها بالمرور من نقاط التفتيش وألا تتعرض لإطلاق النار".





(أم عمر) تقاتل إلى جانب المعارضة السورية على طريقتها

تشارك أم عمر في المعارك في سوريا إلى جانب المقاتلين السوريين على طريقتها، وذلك بإعداد وتقديم الطعام للمقاتلين. وقالت هذه المرأة البالغة من العمر 35 عاماً "كل صباح أستيقظ قرابة الخامسة من أجل تحضير الطعام لهم. لم أتخلف يوماً واحداً منذ سنة تقريباً".

تؤدي أم عمر (35 عاماً) "الجهاد" على طريقتها في جبل التركمان في شمال سوريا، عن طريق تحضير كميات هائلة من الطعام يومياً لمقاتلي المعارضة في المنطقة.

وتقول وهي تخرج قطعاً صغيرة من البطاطا من قدر يغلي فيه الزيت على النار "كل صباح، أستيقظ قرابة الخامسة من أجل تحضير الطعام لهم. لم أتخلف يوماً واحداً منذ سنة تقريباً".

وأمضت أم عمر كل فترة قبل الظهر وهي تقشر البطاطا وتقطعها.

ويقول أسعد، وهو مقاتل من جبل التركمان الواقع في محافظة اللاذقية، "تحت الثلج، تحت المطر، وأحياناً تحت وابل من القذائف، لم تتوقف عن تحضير الطعام لنا".

ويقول أبو خالد وهو قناص في إحدى الكتائب المقاتلة، إنها "أم وأخت لكل المقاتلين".

ويتابع "تبذل المستحيل لنحصل على كل ما نطلبه. طلب منها شاب يوماً أن تعد لنا الأرز بالحليب، وبذلت مجهوداً جباراً لتحصل على كل مكونات طبق الحلوى هذا، وفي اليوم التالي، أكلنا الأرز بالحليب".

ويتابع وهو يقدم لعدد من المقاتلين حصة من طبق البطاطا مع الأرز الذي أعدته أم عمر "الذين لا يجرؤون على القول إنها تعد طعاماً أفضل من طعام أمهاتهم، يقولون على الأقل إن الطعام يملك النكهة الطيبة نفسها لطعام أمي"

وتشرح أم عمر إن "إطعام المقاتلين طريقة لأشارك في الثورة. هذا يلهيني ويمنعني من الغرق في اليأس كلما شاهدت القصف والإذلال الذي تعانيه من النظام".

وتوضح إنها كانت تقيم في مدينة اللاذقية قبل أن تقرر الانتقال إلى الجبل للقيام بهذه المهمة.

وتتابع أم عمر "أقسمت أنني لن أنزل من الجبل إلا يوم يسقط الطاغية. عندها نعود منتصرين إلى منازلنا".

وتروي "في البداية، لم يفقه أولادي سبب قراري، لكنني شرحت لهم دوافعي. حتى أبو عمر (زوجها) بات الآن موافقاً على وجودي هنا".

وتضيف وهي تنتقل من قدر إلى آخر، هنا تضع بعض الملح وهناك تراقب النار، "في أي حال، القرار لي، أنا افعل ما أريد".

وتتمتع أم عمر بكثير من الحيوية. وتقول "كل يوم، أؤدي الصلاة فجراً، أتناول قهوتي وأبدأ يومي. أقوم بزيارات إلى الجيران، وكل عائلة تقدم لي شيئاً ما لأحضر الغداء. ثم أوزع الطعام الذي أعده على المقاتلين وعلى السكان في المحيط".

في حديقة قريبة لعائلة تركمانية، تقوم أم عمر بقص النعناع والبقدونس والخس، قبل أن تعود إلى "مطبخها"، وهو عبارة عن بضعة أحجار من الاسمنت مكدسة الواحد فوق الآخر، وشادر مشدود على شكل خيمة..

وتشير إلى أن المقاتلين المعارضين يزودونها بالمواد الأساسية لإعداد الطعام.

وترتدي أم عمر بدلاً من اللباس الأبيض التقليدي للطباخين، بزة عسكرية حصلت عليها من المقاتلين. وتقول إنها، بعملها هذا، تقوم "بجهادها" على الأرض.

وتضيف "في المنزل، كنت أطبخ على الغاز. هنا، تعلمت أن أطبخ على موقد من الخشب".

ومن أجل إشعال النار، غالباً ما تذهب إلى غابة قريبة وتجمع القضبان الصغيرة من الأغصان اليابسة وتشعل النار.

وتتابع ضاحكة بحماس ظاهر "هذه الثورة جعلتني صلبة جداً كالرجال".

أوجاع وطن

عن كلب الخوف المسعور

■ يوسف أبو خضور

لا أعرف من أين خرجت وكيف وصلت إلى شارع شبيه بشوارع دمشق. أحد أصدقائي القدامى قادم باتجاهي. أردت أن أسأله متى خرج من سوريا؟ وكيف وصل إلى هنا؟ لكن حلقي جف كخشبة عندما باغتني هو بالسؤال: متى رجعت..؟!

نظرت حولي وأحشائي تتقطع، وجدت نفسي وإياه أمام مدرستنا القديمة والطلاب يخرجون من المدرسة ويهتفون بلغة لم أفهمها.. كأنهم فرقة عسكرية.

قال صديقي: هناك شبيحة.. تصرف بعفوية.. لا تهتم.. تعال.. مررنا أمام الشبيحة الذين كانوا يملؤون المكان وركبتيّ تقصف خوفاً، وخُيّل إليّ أن أحدهم سمع صوت خوفي، نظر إليّ نظرة توحي بأنه كشفني.. أدرك صديقي ذلك وصاح: أركض..

ركضت، وكان صديقي يركض معي، ويسألني أسئلة عادية من قبيل: ماذا تعمل.. هل تزوجت..؟!

قلت له وأنفاسي تتقطع: أين نذهب..؟! قال ببرود دون أن يلهث حتى: هنالك «عرس» قريب لأحد الأصدقاء، لنذهب إليه.. وصلنا أحد البيوت، ظننت أني أعرفها، أختبأنا داخل سوره، وكنت أرى عيون الشبيحة فقط، عيون تسبح في الهواء وتبحث عني. كان الخوف يأكل قلبي، خوفٌ لا عهد لي به.. باغتني رجل عجوز يحمل شمعة: أنت الميكانيكي..؟ وتابع قبل أن أجيبه: السيارة في تلك الزاوية إذهب لإصلاحها.

عندما خرجت من أسفل السيارة وجدت فوقي مجموعة من الشبيحة من الجنسين، معظمهم من الفنانين والمثقفين الذين علقت صورهم بذاكرتي.. سقطت في هوة مظلمة، شعرت بأن عقلي ابتلعني..

بدأ العرس، ووجدت نفسي بجانب صديقي العريس. همست له بأن المكان ملئ بالشبيحة، لكنه ربت على فخذي ضاحكاً: لا تقلق.. معك سلاح..؟

تذكرت أن معي مسدساً كنت قد اشتريته لابني، مسدس لعبة.. قلت: نعم، لكن ليس معي طلقات. لم يسمعني، كنت احاول التنفس ولا أستطيع.. إنها لحظات رعب لا توصف..

أشار العريس بيديه بلا مبالاة لأحد الشباب الذين يحملون « المايك»، وكلما أشار له كان الشاب يقول: العريس سيدمر الرئيس..

وكنت أقول في نفسي: هذا لا يحدث إنه حلم.. أنا لست هنا.. هذا حلم وسَيمّر.. أنا بعيد عن سوريا أصلاً ولا أشترك مع هؤلاء بمصيرهم، تخليت عن المصير المشترك منذ زمن بعيد.

كنت خائفاً ونادماً، لا أرى إلا عيوناً بأحجام وألوان مختلفة تحاصرني.

بدأ إطلاق النار وكان العريس البادئ، بعد أن صرخ بدرامية واضحة: النسوان لجوا.. لا تخافوا عدونا تافه وسخيف..

أما أنا فكنت أزحف على التراب، والعيون تراقبني باستهزاء.. صرخت بلاصوت: أين قاعة المؤتمر التي كنت فيها؟!!. أردت أن أتأكد أنني لست في سوريا.. كنت نادماً على كل كلمة كتبتها أو قلتها، وكانت عيون الشبيحة تسمع ما أقول، وتقترب مني حتى ابتلعتني..

وجدت نفسي فجأة أبكي بلا صوت في شارع يشبه شوارع المالكي في دمشق. كان صوت العريس ما زال يتردد في رأسي: لا تقلق عدونا تافه، عدونا تافه.. كنت وحيداً هناك أحاول العثور على طريقة للإستيقاظ، عندما مرت سيارة تشبه السيارات المتجولة. كانت تبيع السلاح، أشكال مختلفة من الذخيرة والبنادق، يصيح عليها السائق برتابة مملة..

أطلت سيدة بنصف جسمها من احدى النوافذ، نظرت إليّ فوراً واستنجدت: وقفو الله يرضى عليك وقفو.. اشترتُ له دون أن أعيّ شيئاً فتوقف، نظرت بتمعن لوجه السيدة الذي يشبه أحد وجوه المعارضة النسائية..

أرسلت السيدة طفلها إلى السيارة، رأيتها تشير للبائع بيديها وبأصابعها، حمل الولد الكثير من الأسلحة بفرح وعاد لأمه. تابع البائع ندائه وقاد سيارته بسرعة هائلة باتجاهي.. إبتلعني عقلي مرة أخرى..

الأن أنا في ممر مشفىً ميداني ومعي طبيب عرفته قديماً، يبكي بهلع وكنت أبكي معه، ومجموعة من الشباب ينادون بأسمائنا، صوت أمي في رأسي يقول لي: لماذا أنت خائف؟! صرخ الطبيب في وجهي: لماذا أحضرتني هنا؟! كنت أقنعه بأنه مجرد حلم من أحلامي. قال: أهذا هو «البزنس» الذي وعدتني به؟..

تباطأ كل شئ فجأة حتى أصبح كعرض فلم بطئ، كل شئ يتحرك بتثاقل ويراوح مكانه، ويكرر نفس العمل، كل الأصوات أصبحت مضحكة حتى صوت الطلقات التي تصيب الحائط الحجري الأسود خلفنا. شعرت بحكة في قدميّ، وبصعوبة إستطعت النظر إليهما لأجد كلبين ينهشان اللحم عن ربلتي ساقيّ بسرعة وبنهم شديد، كانت قدماي من العظم الملطخ بالدماء فقط..

غبت من جديد..

وجدت نفسي أمام باب بيتي القديم أبحث عن المفتاح، لكن يدي علقت في جيبي، وكنت أشعر بأصابعي تحترق، وشئ ما يسحب يدي عميقاً. كانت الأبواب تتزايد أمامي وكلها أبواب أعرفها، أبواب بيوت سكنتها مرة. صوت الطلقات يملأ المكان ووقع أقدام على السلم، عرفت أنهم رجال الأمن جاؤوا لإعتقالي، مع اقتراب صوت خطواتهم ويقيني بأني واقع حتماً في قبضتهم، دارت الدنيا ودار رأسي خوفاً، وفتحت عيني بقوة.. استيقظت هلعا وبحلق جاف كصحراء..

يوم جديد ونوع جديد من الخوف لتجريبه، نحن نجرب أنواعاً من الخوف لا عهد للبشر بها، الخوف كلب مسعور يحمله السوريون في حقائبهم أينما ذهبوا، يتربع وسط منازلهم..

صباح ذلك اليوم في فندق المؤتمر، وعند الإفطار كنت أحدث الأصدقاء عن حلمي بالذهاب لسوريا لمشاركة الشباب نضالهم على الأرض، لولا كثرة المشاغل.

أقسم أنني كنت مقتنعاً جداً بكلامي..!!

أول "طبيب" نفسي عربي يزور مخيمات اللاجئين السوريين

أخصائي نفسي مغربي يعالج النازحين ويكشف معاناتهم السيكولوجية

رسم الأخصائي النفسي المغربي الدكتور فيصل الطهاري صورة قاتمة عن الأحوال النفسية للاجئين السوريين في المخيمات التي توجد على الحدود السورية، بعد أن نزحوا إليها هرباً من الأوضاع الدموية والخطيرة التي تسود أغلب مناطق البلاد منذ أشهر عديدة.

ويعد الطهاري أول أخصائي نفسي عربي يزور مخيمات آلاف النازحين السوريين، بهدف تقديم يد العون لهم من ناحية التوجيه والإرشاد النفسي، والإنصات إلى مشاكلهم وآلامهم، وإجراء حصص علاجية للعديد منهم خاصة الذين يعانون من اضطرابات واختلالات نفسية معقدة.

وقال الطهاري إنه زار 5 مخيمات و10 قرى، لمدة ناهزت 10 أيام، حيث دخل عبر جنوب تركيا إلى معبر الأطمة، مشيراً إلى أن أول شيء يجد المرء بعد الأسلاك الحدودية مخيما يضم أكثر من 22 ألف نازح وآلاف الخيام المهترئة، انتقل بعدها إلى ريف إدلب الواقع في الشمال الذي يسيطر عليه الجيش السوري الحر.

واستطرد الأخصائي ما شاهده خلال المدة التي قضاها هناك، من مآس نفسية وصحية يصعب وصفها بدقة، فليس من رأى كمن سمع، بحسب تعبيره، حيث يقول إن "جميع الأمراض السيكولوجية كانت موجودة وسط النازحين السوريين، وأكثرها يتعلق بالاضطرابات ما بعد الصدمة".

ولفت المتحدث بأنه ليس هناك أصعب من أن يكون المرء مستقراً آمناً في بيته، ممتلكا قوت يومه ومعافى في بدنه، وفجأة تتحول كل هذه النعم، والأوضاع المستقرة إلى نقيضها تماماً، حيث الخوف من المستقبل والتشرد بعد ضياع البيت والممتلكات، وفقدان الأهل والأحباب.

وزاد الطهاري بأن "هذا الوضع الذي يوجد عليه النازحون السوريون يشكل مصدر معاناتهم النفسية لكونهم فقدوا كل شيء تقريباً، ليبحثوا بعد ذلك عن بدء الحياة من جديد في خضم ظروف بعيدة عن الإنسانية جملة وتفصيلاً، فبرغم محاولات هيئات الإغاثة التخفيف من معاناة هؤلاء النازحين، لكن الواقع المزري فوق طاقتهم بكل معنى الكلمة".

أطفال وجنود وأسرى

وأوضح الأخصائي بأنه التقى فئات مختلفة من النازحين المصابين بمشاكل نفسية متفاوتة النوعية والخطورة، ومن ضمنهم العديد من الأطفال الذين يعانون من عقد نفسية إزاء أي صوت مرتفع سواء لطائرة أو سيارة، حيث ترتعد أطرافهم وترتجف قلوبهم من مثل هذه الأصوات التي ترادف بالنسبة لهم كل معاني العنف والموت.

ومن الحالات التي استأثرت أيضا اهتمامه ومساعدته النفسية، حال النساء والأمهات اللواتي وجدن أنفسهن قد انتقلن بين عشية وضحاها من ربات بيوت يعشن حياة هانئة، إلى لاجئات يقاسين شظف العيش في المخيمات من ناحية المأكل والمشرب، وباقي التفاصيل الخاصة بحياة النساء.

والتقى الأخصائي النفسي أيضاً بحالات جنود انشقوا عن النظام السوري، وأيضاً حالات سجناء هربوا من السجون والمعتقلات السورية، فوجد أن الكثيرين منهم يعانون من أوضاع نفسية تتسم بالانهيار، وتحتاج إلى كثير من العناية والترميم والدعم السيكولوجي من أجل إخراجهم من حالتهم تلك.

وتمثل حصص علاج الطهاري لكل هذه الفئات، نساء وشباباً وكهولاً وأطفالاً وجنوداً وأسرى، في تقنية الإنصات لمشاكلهم ومعاناتهم النفسية التي تمخضت عما عاشوه من تغيرات رهيبة، ليقترح بعد ذلك حلولاً تطبيقية على هؤلاء النازحين من أجل الخروج من شرنقة الوضعية الاجتماعية المتأزمة القائمة على البحث عن رغيف عيش وشربة ماء وقرص دواء.

أطفال سوريا في لبنان .. عاملو مسالخ ومقاصب

يهربون من رصاص القناصة على الحدود ليقعوا فريسة للفقر والجوع

يصل أطفال سوريا الهاربون من جحيم الشبيحة وقوات الأسد بين المدن والبلدات المنكوبة، والناجون من رصاص قناصة على المعابر الحدودية، إلى بلاد النزوح ليجدوا أنفسهم فريسة الفقر والجوع، ووجد بعض أطفال سوريا النازحون إلى ربوع لبنان أنفسهم عاملي مسالخ.

ولا يحمل عبودي البالونات للترفيه عن نفسه، بل ليبيعها لغيره من الأطفال علّه يجمع القليل من المال ليساعد عائلته.

وأمضى 6 أشهر متجوّلاً بين أزقة سوق صبرا بعد أن نزح مع عائلته من سوريا. وهو يبدأ العمل منذ السابعة صباحاً، وإذا أسعفه الحظ يعود إلى منزله بثلاثة دولارات كحدّ أقصى بعد يوم شاق.

ويقول عبودي إنه يشعر بالقهر، لأنه لا يذهب إلى المدرسة كما اعتاد.

وعبودي ليس الوحيد، فعلى مقربة منه يعمل شقيقه "أيهم" لدى بائع خضار، ويساعده على ترتيب الصناديق الفارغة.

ولا يملك أيهم، ابن الأعوام السبعة، الكثير من القدرة، وجسده الصغير بالكاد يتحمّل ساعات العمل الطويلة.

وتقول باسمة رماني، عضو في جمعية "حماية" للدفاع عن حقوق الطفل، إن "ظاهرة عمل الأطفال موجودة أصلاً في لبنان، ولكن هناك ازدياد في عدد أطفال العاملين، وهناك ظاهرة جديدة تكمن في عمل الأطفال دون الـ9 أعوام منذ بدء حركة النزوح من سوريا".

وتتابع: "السوق هنا مكتظة بأطفال سوريين وضعوا طفولتهم جانباً لينخرطوا في سوق العمل بسبب أوضاع عائلاتهم المادية".

وبحسب منظمة "اليونيسف"، فإن 30٪ من الأطفال النازحين سجلوا في المدارس المجانية هذا العام.

ويدفع أطفال سوريا الثمن الأكبر للحروب والأزمات، ويتحملون أعباء النزوح الاقتصادية والاجتماعية تماماً مثل الكبار.

15 شهيداً للإعلام بسوريا خلال شهر آذار

وثقت رابطة الصحفيين السوريين استشهاد 15 صحفياً وناشطاً إعلامياً في سوريا خلال شهر مارس / آذار الماضي، ليرتفع العدد الإجمالي إلى 153 شهيداً خلال عامين من الثورة.

وذكرت لجنة الحريات الصحفية في رابطة الصحفيين السوريين، والمعنية برصد الانتهاكات التي تطال الصحفيين والإعلاميين أن عشرة ممن قتلوا الشهر الماضي سقطوا في دمشق وريفها، وسقط ثلاثة في درعا، واثنان في حمص.

وكانت السلطات السورية قد أطلقت في منتصف الشهر الماضي سراح الصحفي الألماني بيلي سيكس بعد احتجازه شهرين ونصف شهر. كما حولت قبل ذلك بأربعة أيام الصحفية شذى المداد إلى محكمة قضايا الإرهاب للاستجواب بشأن زيارتها للولايات المتحدة الأميركية.

كما أصيب الناشط الإعلامي محمد فواز الشرع بجروح بليغة في خربة غزالة بمحافظة درعا مارس / آذار أيضا، أثناء تغطيته الاشتباكات بين الجيش السوري الحر وجيش النظام.

واعتقلت وحدات الحماية الشعبية الكردية التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي الناشط الإعلامي سردار أحمد في مدينة عفرين في حلب.

كما أعلنت قناة التلفزيون العامة الألمانية "إي آر دي" قبل أسبوع أن مراسلها يورغ أرمبروستر أصيب بجروح خطرة بالرصاص، أثناء تصوير تحقيق تلفزيوني في مدينة حلب شمال سوريا.

كما قالت لجنة حماية الصحفيين إن العام 2012 يعد أحد أسوأ الأعوام على الإطلاق في ما يتعلق بحرية الصحافة، حيث شهد أعدادا قياسية من الصحفيين الذين قتلوا وسجنوا في جميع أنحاء العالم.

وأضافت اللجنة - التي تهدف إلى رفع مستوى الوعي بالنسبة للتهديدات التي يواجهها العديد من الصحفيين - في تقرير لها أنه قد قتل سبعون صحفيا أثناء تأديتهم عملهم، نصفهم قتلوا عمدا.

وقفز عدد الصحفيين المحبوسين إلى 232 في العام 2012 بعدما كان 179 في العام 2011، وهو ما يعد رقما قياسيا منذ بدأت لجنة حماية الصحفيين تتبع عمليات سجن الصحفيين في العام 1990.

وقال روب ماهوني، نائب مدير لجنة حماية الصحفيين، إن معظم الصحفيين الذين قتلوا وسجنوا كانوا يعملون لحسابهم الخاص في مجال الأخبار المحلية التي تدور حول السياسة والفساد، وذلك دون دعم من مؤسسات الأخبار الكبيرة، كما أنه لم يتم التحقيق في حوادث قتلهم.

وأضاف أن هذا الوضع "يبعث برسالة مروعة لمجتمع الصحافة مفادها أنه إذا قتل أحد أفرادها فلن يحدث شيء"، وقال "ليس هناك تهديد للصحفيين الاستقصائيين المستقلين، خاصة في البلدان القمعية، أكبر من الإفلات من العقاب".

يذكر أن معظم عمليات القتل العمد للصحفيين وقعت في الصومال، حيث لم ترفع قضية في أي من جرائم القتل التي طالت الصحفيين هناك، وكذلك الشأن في باكستان والبرازيل.

واعتبر ماهوني أن البرازيل التي ستستضيف كأس العالم ودورة الألعاب الأولمبية "بلد مهم"، وقال "لا يجوز أن يكون هناك صحفيون يقتلون أثناء عملهم في مكان مثل البرازيل".

وقد وجدت لجنة حماية الصحفيين أن حرية الصحافة في دول أخرى تنخفض على نحو متزايد مثل جنوب أفريقيا وإيطاليا والمجر، وهاتان الأخيرتان عضوتان في الاتحاد الأوروبي.

ودعت لجنة حماية الصحفيين الأمم المتحدة إلى إدراج حرية الصحافة بصفتها حقا أساسيا من حقوق الإنسان في إطار قوانينها الخاصة بالبلدان النامية.

حملة أحرار خلف القضبان من 7 - 10 نيسان

منذ بدء انطلاقة الثورة السورية في آذار 2011 وعدد السوريين الذين دخلوا، سجون وأقبية النظام بالآلاف، مازال أكثر من 36648 ألفاً منهم تغيبهم عتمة الأقبية والسجون التابعة لأجهزة أمن ومخابرات النظام حسب مركز توثيق الانتهاكات في سوريا.

منهم معتقلي الرأي، والمواطنين الصحفيين، والإعلاميين، ونشطاء الحراك السلمي كما طالت الاعتقالات جميع شرائح السوريين على مختلف أعمارهم وانتماءاتهم حيث مازال النظام مصراً على الاستمرار بانتهاك المرسوم رقم 161 لعام 2011 والذي قضى برفع حالة الطوارئ في سوريا والمادة 17 المعدلة من أصول المحاكمات الجزائية في سوريا والتي تقضي بضرورة عدم إبقاء الموقوف في التحقيق أكثر من 60 يوماً.

لا شك أنه أمام ازدياد وحشية النظام وارتفاع وتيرة القتل والتدمير الممنهج أثرت سلباً في التضامن مع المعتقلين وتسليط الضوء على معاناتهم. ولكن وعلى الرغم من الموت نعلن إطلاق حملة "أحرار من خلف القضبان" والتي تبدأ من 07 / 04 / 2013 لغاية 10 / 04 / 2013 لنعلن تضامننا مع المعتقلين ونؤكد أنهم ليسوا مجرد أرقام للتداول التوثيقي، الحقوقي، والخبري، عدا عن إدانة انتهاكات النظام وممارساته من اختفاء قسري وحالات خطف ومحاكم استثنائية وتعذيب حتى الموت.

إننا نطالب في حملتنا هذه جميع الجهات في المعارضة السياسية أن يكون معتقل الرأي هو أحد المطالب الأساسية في أي حل مقترح، ونطالب المنظمات الدولية التدخل وتشكيل لجان من أجل زيارة المعتقلات في سوريا وبخاصة أفرع المخابرات وأقبيتها وإطلاق حملات عالمية للضغط على النظام للإفراج عنهم.

عاشت سوريا حرة مدنية

الرحمة للشهداء

الحرية لجميع معتقلي الرأي في سوريا والعالم

سوريا المستقبل
دولة القانون والمساواة

▪ ياسر مرزوق

شهد تاريخ سوريا منذ الاستقلال صراعات عديدة وكبيرة وناجحة دفاعاً عن الجمهورية ومؤسساتها في مواجهة مشاريع إذابتها في أنظمة تابعة ومجاورة، تحت رداء المشروع الهاشمي تارةً أو الناصري تارة أخرى، وعلى خلفية المشهد الترويعي الحديدي الذي نعيشه اليوم، نقف أمام الاستحقاق الأخطر في تاريخنا المعاصر، وسوريا ما بعد الأسد تقف أمام خيارين أولهما تشتت عامودي طائفي وإثني وجهوي ومذهبي وعشائري وقبلي يودي بالبلد كله في داهية، أو خيار دولة ديمقراطية يحددها السوريون عبر صناديق الاقتراع، وملفنا اليوم إضاءة على ماهية الدولة المدنية في سوريا ما بعد الأسد، فمن طبيعة الثورة حالما تنتهي من أعدائها أن تبدأ بالتهام أبنائها ممن يوصمون بأنهم خونة والغريب أنه دائماً يتضح، في جميع الثورات بلا استثناء، أن خونة الداخل هم أكثر تعداداً بكثير من أعداء الخارج ذلك أن المجتمع المثالي المؤمل لا يتصور إلا على أنه مثال لمجتمع متجانس، والتصفية الدائمة هي طريقه المحتوم إلى مزيد من التجانس والمجتمع مطلق التجانس هو مجتمع يجهل الذاتية كما يجهل الآخر، أي العمودين اللذين يقوم عليهما هيكل الديمقراطية وهنا يقع العبء الأكبر على المعارضة لتجنب الانتقال بالبلاد من دكتاتورية إلى أخرى مقنّعة، وعلى المعارضين أن يكونوا ديمقراطيين فيما بينهم أولاً، وهم الذين لا يقرون بحرية الاعتقاد فيما بينهم أو بحق الاختلاف والانشقاق، وهم الذين يسارعون إلى إصدار أحكام قيمة على الآخر استناداً لدائرة الداخل ودائرة الخارج.

ونقطة البدء في بناء المجتمع تعتمد على قبول الآخر والأخذ برأيه ومراعاة خصوصيته في الاعتبار وذلك على أساس ثقافة التسامح والانفتاح وبث الثقة بين الأفراد والجماعات والمكونات لمعالجة المشكلات، وأن تسبقه إشاعة القناعة لدى أفراد المجتمع على أنهم مواطنون متساوون في الحقوق والواجبات شركاء في الوطن ولهذا فإن عملية بناء المجتمع ينبغي أن تمر بمسارين:

الأول: إعادة بناء الدولة وضبط سلطتها وتطهيرها من الموروثات الاستبدادية.

الثاني: إجراء عملية تثقيفية شاملة تقوم على التنشئة السياسية والاجتماعية لتعبئة المجتمع وتأهيله بما ينسجم مع متطلبات الوضع الجديد وتأهيله عبر الأدوات والقنوات التربوية والتعليمية والإعلامية.

دولة القانون

تقترن دولة القانون بجملة مبادئ تُجسد الحقوق والحريات الإنسانية في الدولة على أساس المواطنة، وهذه الحقوق لا تتحقق بمجرد النص عليها في دستور الدولة وفي قوانينها، ولا تتحقق بمصادقة الدولة على اتفاقيات ومواثيق دولية بشأن تلك الحقوق والحريات، بل في نظام حكم يعترف، في إطار قانوني وتطبيقي، بحق المواطنين بأنهم أصحاب ومصدر السلطة الحقيقية.

وتصبح الدولة الديمقراطية مرادفة لدولة القانون في سياق نظام سياسي يقوم على مفهوم المواطنة. هذا التنظيم القانوني والسياسي هو الدولة الديمقراطية - دولة القانون التي تعترف بخضوع سلطة الحكم للقانون، كحال خضوع المحكومين له، حيث تشكل حقوق وحريات المواطنين في هذا القانون، قيوداً على الدولة. ولكي يقوم نظام الحكم هذا، من خلال قواعده ومؤسساته، بعمله على وجه سليم، يتطلب ذلك ضمانات تتلخص في المبادئ الآتية: سيادة القانون.. الفصل بين السلطتين المدنية والعسكرية.. الفصل بين السلطات.. استقلال السلطة القضائية.. تقرير الرقابة القضائية على دستورية القوانين.. تقرير الرقابة القضائية على تصرفات الإدارة وقراراتها.

من هنا، فإن مفهوم دولة القانون، يتجسد في خضوع سلطة الحكم للقانون. وما يقيد سلطة الحكم دستور يضع القواعد الأساسية لنظام الحكم في الدولة، ويقرر حقوق الأفراد والجماعات وحرياتهم. وبهذا يتحقق للأفراد مركز قانوني في مواجهة سلطة الحكم يكون ضماناً لهم في حرياتهم وحقوقهم. والقانون الذي تكون له السيادة في دولة القانون يجب أن يكون صادراً عن مجلس منتخب من الشعب، ولا يكون مخالفاً للدستور أو منطوياً على انحراف في استعمال السلطة التشريعية. وإذا لم يؤخذ بهذا المفهوم القانوني، عندئذ ينتفي معنى ومضمون دولة القانون.. لعدم وجود دولة بدون قوانين.

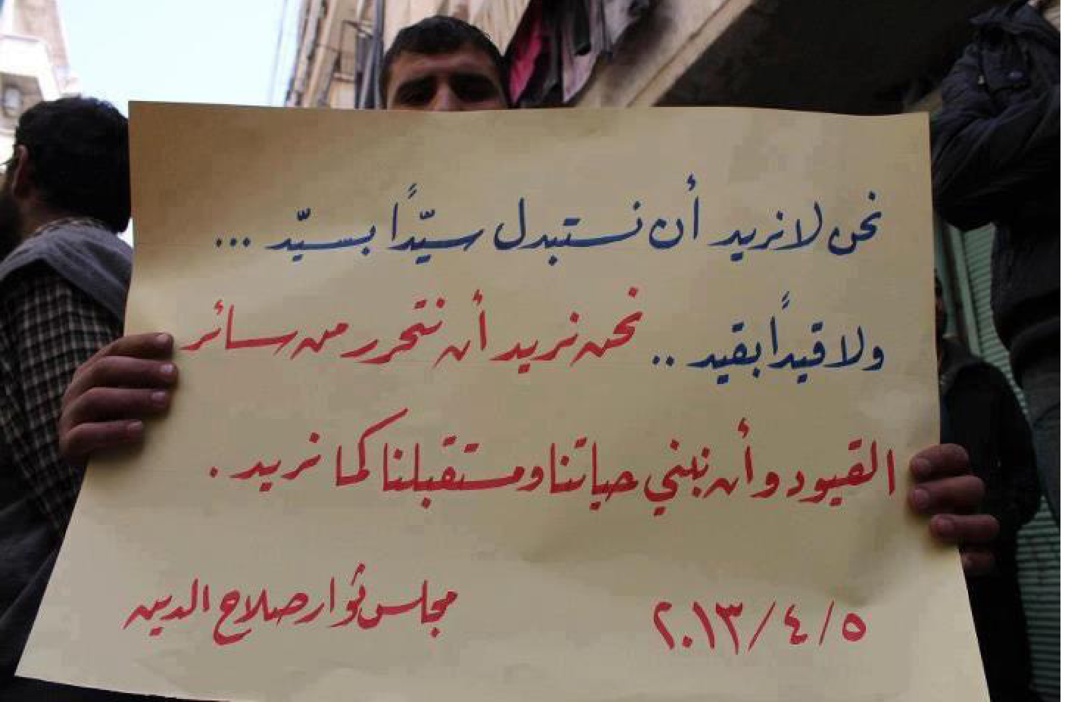
وإخضاع الدولة للقانون يعني في الواقع إخضاع سلطاتها لأحكام القواعد القانونية، والسلطة تميل دائماً لأن تكون مطلقة، وهذا ما حذر منه الفقيه مونتسيكو حيث أفاد بأن «السلطة مفسدة» و«السلطة المطلقة المفسدة مطلقة»، والدولة في ممارسة سلطاتها تتمثل بأشخاص يكونون بالغالب ثملين بالسلطة، والدولة -كما أشرنا آنفاً- تمارس تأثيراً كبيراً على تكوين القانون وتطبيقه، وبالتالي كيف يمكننا تفسير أو تبرير إخضاعها لهذا القانون.

وفي هذا الإطار يمكننا أن نميز بين عدة نظريات حاولت تبرير أو تفسير خضوع الدولة للقانون، هذه النظريات مبنية إما على أساس مذهب القانون الطبيعي، والذي نتج عنه نظرية القانون الطبيعي ونظرية الحقوق الفردية، وإما على أساس مذهب القانون الوضعي الذي نتج عنه نظرية التحديد الذاتي ونظرية التضامن الاجتماعي. " عن كتاب نظريات بناء الدولة للدكتور عبد الله الشرقاوي "

هذه النظريات الأربعة هي:

1 - نظرية القانون الطبيعي: يعتقد أنصار نظرية القانون الطبيعي بوجود قانونين: القانون الوضعي والقانون الطبيعي، حيث يرون بأن هناك قواعد قانونية عليا تعلو قواعد القانون الوضعي وتسمو عليها تسمى قواعد القانون الطبيعي، والقانون الطبيعي بحكم قانون الطبيعة سابق في وجوده وجود الدولة، فجميع سلطات الدولة يجب أن تلتزم بهذه القواعد، بل أن المشرع منشئ القانون الوضعي يجب أن يرجع إلى قواعد القانون الطبيعي مستلهماً منها فيما يضعه من قوانين، أي أن القانون الطبيعي يشكل مصدراً من مصادر التشريع الوضعي.

وترجع هذه النظرية إلى عهد قديم عندما أعلن الفيلسوف «أرسطو» أن الطبيعة هي مصدر العدالة وتُعبر عن العدالة المطلقة، إلا أن هذه النظرية





تتسم بالغموض وصعوبة التحديد، ولا تصلح لتبرير خضوع الدولة للقانون، فقواعد القانون الطبيعي لا تعتبر قيداً قانونياً على إرادة الدولة، بل مجرد قيد أدبي أو سياسي قد تلتزم الدولة بها أو قد لا تلتزم، فهي لا تتمتع بأي جزاء مادي يضمن احترامها.

2 - نظرية الحقوق الفردية: تعتبر نظرية الحقوق الفردية نتيجة لمذهب القانون الطبيعي وبذلك تعتبر نتيجة لنظرية القانون الطبيعي، فقد اعتبر القانون الطبيعي بداية مصدراً أو أساساً لوجود الحقوق الفردية. فالفرد يتمتع بحقوق معينة، كان يتمتع بها في حياة العزلة "حالة الفطرة" السابقة لانضمامه إلى الجماعة السياسية بموجب العقد الاجتماعي، والدولة التي نشأت بعد ذلك، جاءت لحماية هذه الحقوق، وبالتالي يجب أن تتقيد الدولة بهذه الحقوق، وتمتنع عن إهدارها أو انتهاكها أو حتى المساس بها، وقد قامت هذه النظرية منذ ظهور نظرية العقد الاجتماعي، ثم بروزها على يد الفقيه روسو، وأصبحت نظرية الحقوق الفردية مستقلة وقائمة بذاتها.

وقد لاقت هذه النظرية تأييداً كبيراً من قبل رجال الثورة الفرنسية، وتم النص على مضمونها في المادة الأولى من إعلان حقوق الإنسان والمواطن الصادر عن هذه الثورة سنة 1789، وفي دستور سنة 1791 حيث ورد في مقدمة هذا الدستور "ليس للسلطة التشريعية أن تسن أي قانون يتضمن مساساً أو عرقلة لممارسة الحقوق الطبيعية والمدنية المدرجة في هذا الجزء والمكفولة من الدستور".

3 - نظرية التحديد الذاتي: نشأت نظرية التحديد الذاتي لدى الفقه الألماني ووجدت أنصاراً لها في الفقه الفرنسي ويرى القائلون بهذه النظرية أن الدولة لا تخضع لأي قيد من القيود إلا إذا كان ناشئاً عن إرادتها الذاتية، فالقانون من صنع الدولة وهي تلتزم به، أي أن الدولة تلتزم بالقانون الذي تضعه لأنه ملزم لها كما هو ملزم للأفراد، وهذا الأمر لا يتناقض مع فكرة سيادة الدولة، لأن مفهوم سيادة الدولة لا يعني أبداً بأن سلطان الدولة مطلق وبلا حدود، فمفهوم سيادة الدولة، إذا كان يأبى أن تخضع سلطة الدولة لقيود من سلطة أعلى أو سلطة خارجية، لا يتعارض مع خضوع سلطة الدولة للقواعد القانونية التي تضعها بنفسها وبمحض إرادتها، فالدولة عندما تضع قواعد ملزمة للأفراد لا بد أن تلتزم هي بها في نفس الوقت، وإلا كنا إزاء فرض في غاية الغرابة: وجود قواعد قانونية في النظام القانوني ملزمة وغير ملزمة في نفس الوقت، وأن القانون ليس في ذاته غاية، وإنما هو وسيلة لتحقيق غاية، وهي ضمان أمن الدولة والمحافظة على بقائها، وبغير ذلك تحل الفوضى وتتعرض الدولة للانهيار.

ورغم اقتراب نظرية التحديد الذاتي للإرادة من الواقع العملي والانسجام معه في ممارسة الدولة لسيادتها، فإن سهام النقد قد وجهت إليها من جانب عدد من الفقهاء، على أساس أن الدولة لا تُقيد نفسها بإرادتها عن طريق القوانين التي تسنها وتعدلها، وذلك لأن القيد الحقيقي الوارد على سلطات الدولة، والذي بمقتضاه تكون مرغمة على الحد من سلطاتها هو القانون الطبيعي، طبقاً لنظرية القانون الطبيعي التي يؤيدانها.

4 - نظرية التضامن الاجتماعي: تقوم على أساس أن عند الإنسان شعوراً بالعدل والظلم أفرزه الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه بشكل عفوي، يولّد فكرة ما يجب أن يكون القانون، هذه الفكرة تترجم مباشرة من خلال أخلاق وعادات تُشكل ما يسمى من بالقانون الوضعي لتمييزه عن القانون الطبيعي، والحكام بحسب هذه النظرية لا يملكون حق التشريع بأنفسهم، فالقانون لا يؤسس على إرادة الحكام ولا يكون لإرادتهم شأن في صنعه، فالقانون لا يكتسب صفته بسبب إصداره من سلطة عامة، وإنما يكتسب صفته بسبب اتفاقية مع مستلزمات التضامن الاجتماعي والعدالة، فالقواعد القانونية إذن تنشأ بمجرد أن يستقر في ضمير الجماعة ضرورة وجودها، فتكتسب صفتها القانونية لذاتها بحكم ضرورتها، أي أنها تنشأ بصفة تلقائية كظاهرة اجتماعية وطبيعية دون تدخل لإرادة الدولة أو الحكام في وجودها، فالقانون يعتبر مصدره خارجاً عن إرادة الدولة، وبالتالي فإن خضوع الدولة للقانون أساسه قيد خارجي فرضت وجوده فكرة التضامن الاجتماعي.

ويقول أنصار نظرية التضامن الاجتماعي: إن الإنسان عاش دائماً في داخل الجماعة، لأنه يحتاج بصفة مستمرة إلى التضامن لإشباع حاجاته عن طريق الاشتراك لإشباع الحاجات المتشابهة، وهو ما يُطلق عليه «التضامن بالتشابه»، أو عن طريق تبادل المنافع نتيجة لاختلال الحاجات والقدرات، ويُطلق عليه «التضامن بتقسيم العمل»، وبناءً على ذلك فإن التضامن الاجتماعي حقيقة واقعة، يستند إليها القانون ويستمد منها الصفة الإلزامية، وأن ضمير الجماعة يعتبر منبع القاعدة القانونية ومصدرها، وشعور الأفراد بضرورة احترام التضامن فيما بينهم هو الجزاء على مخالفة هذه القاعدة القانونية، وهكذا تفرض قاعدة التضامن الاجتماعي –باعتبارها أساساً لخضوع الدولة للقانون - على الجميع –حكاماً ومحكومين - الالتزام بها والامتناع عن كل تصرف يشكل خرقاً لها، بل والعمل على تنميتها.

مقومات دولة القانون

هناك مقومات أساسية لخضوع الدولة الحديثة للقانون أي حتى تكون دولة قانونية، وهذه المقومات تعتبر ضمانات لقيام دولة القانون وهي:

1 - الدستور: الدستور هو الضمانة الأساسية لقيام دولة القانون. فهو الذي يبين نظام الحكم في الدولة وتشكيل السلطات العامة وتوزيع الاختصاصات بينها وكيفية ممارستها كما يبين حقوق الأفراد والوسائل اللازمة لضمانها وصيانتها. فالدستور يشكل قيداً قانونياً لسلطات الدولة حيث يبين حدود واختصاص كل سلطة بحيث لا تستطيع تجاوزها وإلا تكون قد خالفت أحكام الدستور، وفقدت السند الشرعي لتصرفها. وأفضل أسلوب لوضع دستور عصري حديث يكون عن طريق جمعية تأسيسية منتخبة من قبل الشعب تكون مهمتها وضع دستور للدولة ومن ثم عرضه للاستفتاء العام من قبل الشعب بعد ان تكون الجمعية التأسيسية قد أقرته بالإجماع وليس بالغالبية المطلقة، وذلك لضمان أن يكون الدستور لكل أفراد الشعب بمختلف انتماءاتهم القومية والدينية والمذهبية، والدستور الذي تضعه الغالبية السياسية لن يكون دستوراً لكل الشعب.

2 - الفصل بين السلطات: يُعتبر مبدأ الفصل بين السلطات أحد أهم المبادئ الدستورية الأساسية في الدول الديمقراطية، ويُعني وجوب الفصل بين السلطات الدستورية الأساسية: التشريعية والتنفيذية والقضائية، ويقصد بالفصل بين السلطات الفصل الشكلي أو العضوي: أي توجد هيئة أو سلطة عامة تتولى وظيفة التشريع وهيئة أو سلطة عامة تتولى وظيفة التنفيذ وهيئة أو سلطة عامة تتولى وظيفة القضاء.

3 - رقابة القضاء: إذا كان مبدأ الفصل بين السلطات يُشكل نوعاً من الرقابة السياسية التي تُعني أن كل سلطة عامة تملك الوسائل الكفيلة بالحد من تعسف أو تجاوز السلطات العامة الأخرى، فإن الرقابة القضائية تعتبر الوسيلة الأمثل لصيانة وحماية حقوق وحريات الأفراد، لأنها تتفوق على الرقابة السياسية والرقابة الإدارية، سواء فيما يتعلق بخضوع السلطة التنفيذية أو الإدارة للقانون، أو بتعبير أدق لسيادة القانون، أم في خضوع السلطة التشريعية للدستور.

وتجدر الإشارة إلى أن قانونية الدولة تنعكس مباشرةً على المجال الاقتصادي، بحيث تترك الأبواب مشرعة للإنتاج والتطوير الاقتصادي على قاعدة الخضوع للقانون، والمساواة بين جميع المواطنين في معرض تطبيقه مما يؤدي حكماً إلى إلغاء الامتيازات الاقتصادية والضريبية وإلزامية أداء الضرائب ومستحقات الدولة بالنسبة للجميع، وتلغي الزواج التقليدي بين رأس المال والسلطة والذي حكم الواقع السوري لعقود طويلة

في الختام لابد من التأكيد على أن دولة القانون هي الصيغة التنظيمية السياسية التي تنقلب فيها العلاقة بين الفرد والدولة، بين الحاكم والمحكوم رأساً على عقب فالدولة التقليدية تعتبر الحقوق هبات تتكرم بها على رعاياها مميزة بينهم تمييزاً استثنائياً في حين أن دولة القانون والحق ترى نفسها تعبيراً عن المواطن وتجسيداً مؤسسياً ضامناً لحقوقه. كما أنها لا تحمل أية مزاعم اجتماعية أو أخلاقية في العدالة الاجتماعية بل هي مجرد تنظيم لمسألة السلطة بهدف توفير الشروط الدنيا لانطلاق عملية التنافس الاجتماعي ومن ثم فإن مصدر قوتها يتمثل في تحقيق التساوي القانوني بين الناس أي تساوي شروط وظروف حدوث وجريان مختلف العمليات الاجتماعية بما فيها السيرورة السياسية الذاتية.

قصة الدم في سوريا دخلت عامها الثالث ولا حلول في الأفق ، لكن اليقين أن عقارب الساعة لا ترجع إلى الوراء أبدًا، وأن النظم القمعيَّة لا تواجه شعبها بآلتها العسكريَّة الكاملة إلا بعد أن تيْئَس تمامًا فتقرر أن تخوض معركتها الأخيرة. والتاريخ أيضًا يؤكد أن الحكام الطغاة الذين خاضوا هذه المعركة الأخيرة ضد شعوبهم، لم تنفعْهم أسلحتهم ولا معاركهم الأخيرة، وإنما كانت النهاية المحتومة هي سقوط أنظمتهم القمعية ، قريباً جداً ستقطف الثورة السورية ثمارها ، ويقف السوريون أمام استحقاق المستقبل ، والطريق لن يكون ممهداً ، فكما ذكرنا سابقا سقوط النظام هو البداية.

مواقف (الممانعين) من الثورة السورية..

من حزب اللّه إلى ليلى خالد.. إفلاس وانكشاف..

■ الياس س الياس

كانت قناة "المنار" الناطقة باسم حزب اللّه تهلل للثورة التونسية ومن بعدها المصرية.. ذهب حسن نصر اللّه إلى حد نفض الغبار عن عباءته وكأنه القائد للجماهير العربية الثائرة حينها.. رُفعت أعلام ثورات تونس ومصر وليبيا واليمن والبحرين في معظم خطب ومهرجانات حزب الولي الفقيه.. كان ملالي طهران وعلى رأسهم خامنئي يعتبرون ثورات العرب "صحوة اسلامية" وهو الأمر الذي لم يثر حينها كل الذين أثارتهم لحى ثوار سوريا ولم يعترضوا على تسميات برس تي في العالم والمنار..

مفارقة عجيبة غريبة حين اختزلت الثورات العربية عند بوابة درعا السورية بالثورة في البحرين.. فجأة وبلا مقدمات صار عنوان تلك الثورات: مؤامرة امبريالية - صهيونية.. وفي سوريا: مؤامرة كونية..

الصورة التي لا يمكن أن تمحى في الثورة السورية هي صورة جهد تشويهها وشيطنتها، من مدخل طائفي ومذهبي، في انتهاج حزب نصر اللّه مقاربة أخرى ستكتشف أنها كلفته كثيرا وستكلفه مستقبلا أكثر مما يظن المطبلين لصورة كانت في الماضي فانهارت عند تخوم الزبداني وتاليا في معظم دمشق وريفها وحمص وريفها وتحديدا في القصير..

انحدار الممانعة..

لم يكن قد مضى على 18 آذار / مارس، يوم سقوط أول شهيدين في درعا، سوى أيام قبل أن تخرج بثينة شعبان لتخبرنا عن "الفتنة الطائفية" وخرج الدكتاتور في نهاية ذات الشهر ليشير إلى قصة سخيفة عن الرسائل النصية التي تُرسل لهذه القرية وتلك.. في زحمة همروجة المسيرات "العفوية" وسوق الناس إلى الساحات لم يعر الكثيرين انتباها لما يرغبه نظام العصابات في دمشق من جر الشارع السوري نحو مربع اللعب على وتر "الأقليات" والتخويف من الثورة.. وبالرغم من أن الشعارات لم تكن بعد سوى المطالبة بمحاسبة ابن خالة الديكتاتور عاطف نجيب ومحافظ درعا فيصل كلثوم، فقد أطلق العنان لخطة "الصدمة والترويع" بالقتل المباشر ورمي التهمة على "العصابات المسلحة".. ذهب الشرع لنقد كل الرواية في مقابلته مع الأخبار وتحديدا ابراهيم الأمين الذي انتقل بالجريدة من نقيض تمناه جوزيف سماحة إلى عزف على أنغام الديكتاتورية بمجموعة من الكتاب والمثقفين المستخفين بحركة الجماهير..

وبمناسبة الحديث عن تلك الصحيفة، فقد قرأت ذات يوم ذلك التقرير الرديء الذي قام به حسن عليق من منطقة الميدان بدمشق ليروي بأن من يدخل مسجد الحسن "غرباء عن المنطقة"!

فقط لتثبيت روايات الأسد يصير المسجد حكرا على منطقة.. هو تهافت سيُكشف عنه موقف عامين كاملين من معاناة الشعب السوري..

حزب اللّه تلقف الرسالة بشكل جيد.. ومعه ما يسمى "محور الممانعة"، ولم يثر هؤلاء قضايا بحجم أكاذيب بسام أبو عبد اللّه وطالب ابراهيم وغيرهم من سوريين وغير سوريين عن البيشمركة والمارينز للتنصل من حادثة الدوس على رؤوس سكان قرية البيضا القريبة من بانياس.. الكذب استثار الناس.. فكل روايات شريف شحادة عن "زقزقة العصافير والمسابح" كانت مطبوخة جيدا..

تعبير "حثالات" والعشوائيات الذي أطلقه بسام أبو عبد اللّه صار مرجعا عند كثير من أبواق لبنان.. فحين كان فيصل عبد الساتر يحاور على الجزيرة مع شخصية معارضة من داخل دمشق لم يتردد عبد الساتر في وصف منطقة المزة بأنها بساتين المزة وكفرسوسة صارت عشوائية مثلها مثل القابون.. هذا التهافت والاستخفاف بالحراك الجماهيري وتقليص الأعداد بطريقة جدل بيزنطي مع المذيعين كشف بطريقة أو أخرى بأن كل أدات يمكن استخدامها في وجه الثورة السورية..

حسن نصر اللّه وجد نفسه أمام خطاب يتنكر لكل ادعاءات الوقوف مع مظلومية الشعوب وإن ظل يتباكى باسم مظلومية تاريخية تبين فيما بعد بأنها خرافة لاستقطاب فقراء الشيعة والزج بهم في أتون شعار "الأسد أو نحرق البلد".. في الوقت الذي كانت الثرثرة الممانعة تتحدث عن "مؤامرة كونية" وعن مسلحين أجانب كان السوريون يرون بأنفسهم عناصر إيرانية ومن حزب اللّه تتدفق لقمعهم حتى قبل أن يُدفعوا لحمل السلاح.. في الأشهر الأخيرة باتت مسألة الممانعة شعارا فاضحا يخفي حقيقة مفجعة حذر منها الطفيلي والأمين، فتحول البندقية والصواريخ إلى الداخل السوري تحت حجج وذرائع كاذبة حولت القتال ضد العدو الصهيوني إلى "جهاد مقدس" في حارات وشوارع السوريين..

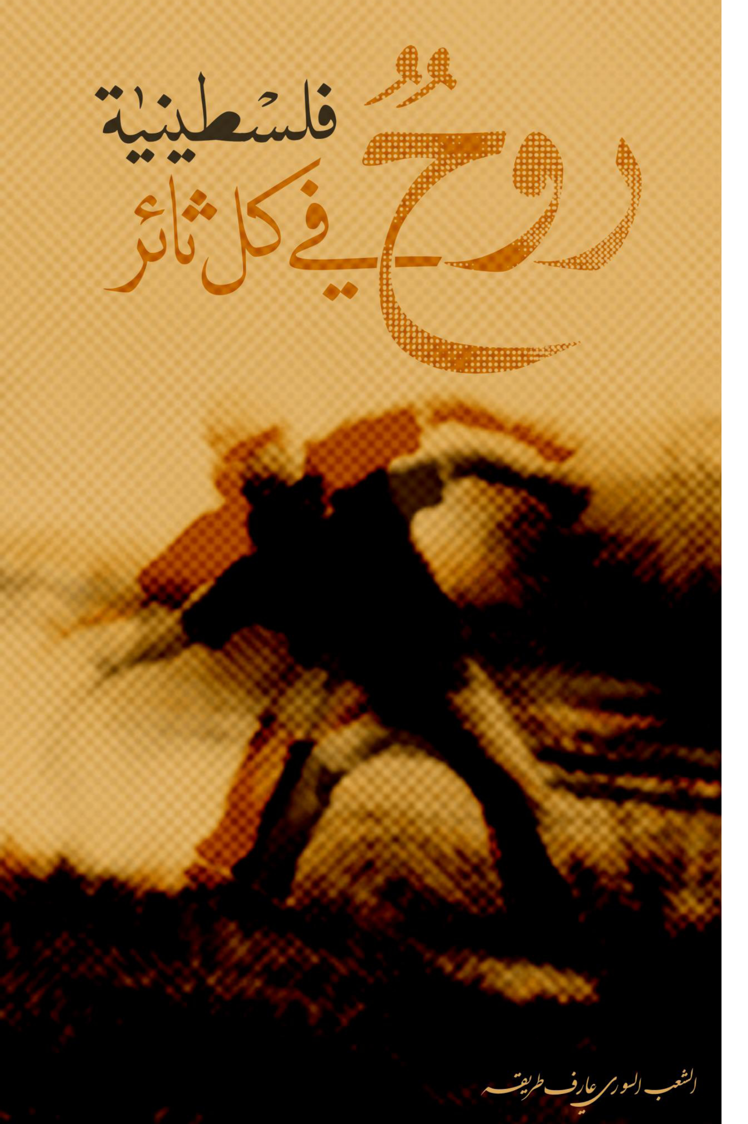
في حرب تموز 2006 فتح السوريون.. السوريون وليس آل الأسد وشاليش ومخلوف وحيتان النهب.. أبوابهم وقلوبهم للفارين من عدوان صهيوني.. تلك التربية والأخلاق ليست نتاج 40 عاما من الاستبداد بل ضاربة في حضارة وثقافة السوريين.. وبالرغم من ذلك عاد حسن نصر اللّه ليضرب على وتر الممانعة.. فلم يطرح على نفسه سؤالا كبيرا: كيف يمكن أن يكون بلدا ما ممانعا ومقاوما لو أن شعبه لم يكن هو الصابر والممانع في سبيل القضايا العربية؟ بل كيف يمكن قتل وتدمير هذا البلد بطائرات وصواريخ لم تفعل شيئا بوجه طائرات صهيونية تقصف في الكبر وعين الصاحب وتخترق جدار الصوت فوق القصر الرئاسي ثم تقصف في جمرايا ويقول النظام: نحتفظ بحق الرد؟!

في لبنان ينعم جماعة حزب اللّه بنظام برلماني (رغم كل الخلل في الديمقراطية الطائفية) يستطيع استجواب وزير ورئيس وزراء وصحف البلد لا تترك شاردة أو واردة.. جمهور قطع الطرقات بالدواليب المحروقة احتجاجا على قطع الكهرباء أو تدني خدمات.. وبالرغم من ذلك استكثروا على السوريين الانتفاض لكرامتهم التي تم دوسها 42 عاما.. وظل هؤلاء في "محور الممانعة" يستخفون بدماء السوريين باسم المؤامرة الكونية!

فتاوى في خدمة الطاغية..

من الذي تصدى لفتاوى رجال الدين في ايران وغيرها للوقوف مع الأسد من منظار ديني؟!

فبينما كنا نسمع كثيرا عن الفتاوى باسم الثورة لم يثر هؤلاء "الممانعون" والقومجيين العرب ومدعي العلمانية المتطرفة تلك المواقف المطلوبة بوجه فتاوى تصل حد الانحطاط الطائفي باعتبار سوريا لآل البيت والوقوف مع الأسد واجب ولم يتصدى هؤلاء للطموح الفارسي



بتحويل سوريا إلى المحافظة رقم 35.. إذا رد البعض بأن تلك مجرد آراء فيمكن عندها القول: فلتخرسوا إذا على آراء الطرف الآخر!

هذه المعادلة ات يمكن تصديقها ولا تسويقها.. نحن نعرف كيف يرتبط الديني بالسياسي في ايران والعراق وجمهورية الضاحية الجنوبية.. وعليه فقبل أشهر من تسلح الثورة السورية كان يتم تداول مثل تلك الفتاوى الوظيفية لنظام وظيفي بالأساس.. ومن النفاق بمكان عدم التصدي لفتوى ابريل 2012 (أي قبل عام من اليوم) والصادرة عن الشيخ جنتي يدعو "للجهاد مع الأسد حتى لا يسقط بأيدي اهل السنة اعداء ال البيت"..

فاستناد النظام المدعي بأنه " قلعة العلمانية" إلى فتاوى مثلت فتوى حسون الأخيرة اكتمال صورة كذبة تلك العلمانية سوف تقابل وللأسف بفتاوى أخرى بما يجر الأمر كله إلى مربع الدين ليظهر تشويش على الثورة السورية بما يرضي توجهات غربية معروفة..

برهان غليون وأوراق الاعتماد..

حسن نصر اللّه في خطاباته المتكررة منذ بداية الثورة السورية حملت من الفوقية والعنجهية ما استفز الشعب السوري وبقية الشعوب التي اكتشف حجم الانتهازية عنده وعند حزبه، ففي واحدة من خطبه وبعيد تشكيل المجلس الوطني السوري راح نصر اللّه يخلط الأمور بمجموعة أكاذيب.. فجأة أصبح التصويب على برهان غليون ليصوب على الثورة: قدم أوراق اعتماده في واشنطن وتل أبيب.. بينت الأحداث وبلسان أتباع النظام السوري مدى سخف هذه الأكاذيب في محاولة لإخفاء الحقيقة المرة.. المواقف الأسرائيلية التي ذهبت حد بناء سور الكتروني على الجولان بعد الثورة يكشف الحقيقة.. والحديث عن السلاح الكيماوي في " الأيدي الأمينة" يكشف أكثر.. بل دعونا نسلط بكلمتين الضوأ على أوراق الاعتماد تلك.. ونطلب من الممانعين ايجاد تفسير وتبرير لتعاون أجهزة القمع التابعة للأسد منذ غزو العراق مع أجهزة الاستخبارات الأميركية وفتح مسالخ التعذيب والشبح لانتزاع اعترافات ممن تتهمهم أميركا بالارهاب.. قصة المهندس ماهر عرار ليست من نسج الخيال.. فالرجل الذي ألقت به واشنطن في يد علي مملوك اعترف بعد حفلات التعذيب بما يفوق الخيال.. أطلق الرجل وعاد إلى كندا وحصل على تعويض بملايين الدولارات.. بينما أجهزة " الأمن السورية" كانت تفرك يطيها فرحا في خدمة سي اي ايه أنها استطاعت انتزاع اعتراف من المهندس عرار على أنه عضو في القاعدة..

تلك القصة معروفة وهي فقط للدلالة على مدى سخف الادعاء بمعاداة " الامبريالية".. بينما النظام التقدمي الممانع يثرثر عن الامبريالية كان مصطفى طلاس يتهم نصف أعضاء القيادة بالعمالة للاميركي.. عودوا إلى مذكرات طلاس.. ثم أين أقام رئيس أركان جيش حافظ الأسد، حكمت الشهابي؟ أليس في عقر دار الامبريالية؟! وأين يجري توليد زوجات النافذين وتطبيب المسؤولين وتدريس أولادهم؟! ليس في كوبا ولا فنزويلا ولا ايران..

تدمير فكرة المقاومة..

لم ينتبه " محور الممانعة" (وربما انتبه وكذب على نفسه البعض) للخطر الذي شكلته ممارسات عصابات الحكم في دمشق على فكرة المقاومة..

فبينما يصفق ويهلل هؤلاء لتدمير البنية التحتية السورية ولخرق كامل وبشع لأبسط حقوق الناس لم تثرهم استيراد " نظام الممانعة" لمفرادته من قاموس صهيوني تبريري للقتل والتدمير.. فمنذ اليوم الأول تم استعارة " مخربين وارهابيين وعصابات وجهاديين.. إلخ" ومضاف إليها خطاب المحافظين الجدد " إما معنا أو علينا".. فانكشفت اللعبة وصارت الخطورة في الممارسة أبشع مما يمكن تخيله..

الصهاينة يشعرون اليوم بأن في جعبتهم رصيد " أخلاقي" يجعلهم متفوقين كثيرا على العرب.. وتحديدا مدعي الممانعة.. لنأخذ بعض الأمثلة:

* حين كان مستوطنون في نابلس يعربدون بحرق مسجد أو يعتدون على كنيسة كان يسرع الحاخامات لتقديم الاعتذار والتنصل من تلك الأفعال.. بل في نابلس عرضوا اعادة تعمير أحد المساجد التي تعرضت للحرق.. لكن دعونا نفكر بما اقترفته وحدات " حماة الديار" في سوريا وسنكتشف حجم الكارثة القادمة والتي لم يفكر فيها كثيرا لا حزب اللّه ولا كل المرددين لترهات الممانعة في فلسطين.. فشعار خطه هؤلاء على جدران المنازل " الأسد أو نحرق البلد" مع ممارسات قذرة من النهب إلى حرق المنازل والمساجد وقصف المآذن بشكل جلي يعني من بين كثير من المسائل منح الجانب الصهيوني تفوقا أخلاقيا من جهة وشرعة ممارسة تدمير منهجي..

* في الوقت الذي تتباكى فيه وسائل إعلام الأسد ونصر اللّه على استشهاد أسير فلسطيني يعرف السوريون والسوريات ومنظمات دولية حجم الممارسات الفظيعة بحق المعتقلين السوريين والفلسطينيين في مسالخ الأسد.. قمة الوضاعة أن يتباكى قتلة في المدن السورية ومخيمات الفلسطينيين على قضية فلسطين.. في يوم الأرض جرى قتل 11 فلسطينيا في مخيم اليرموك لوحده وتعرض لقصف من ثكنات الأسد بصواريخ لم تعرفها الجولان يوما.. ثم يتاجر مندوب الأسد في الأمم المتحدة، الجعفري، باسم فلسطين في الوقت الذي يعدم ويخطف على حواجز نظامه عشرات الفلسطينيين ويستخدم مرتزقة من جماعة أحمد جبريل لاقامة حاجز على أبواب مخيم اليرموك لا تختلف أبدا عن الأدوات القذرة للاحتلال إلا في حالة واحدة.. في فلسطين إن تم اعتقال فلسطيني يعرف أين هو بينما في سوريا قد تجد جثته مرمية في الطرقات بعد حفلات التعذيب التي يتفنن بها " رجال الأسد للأبد".. في مدن وقرى ريف دمشق كما في أطراف مخيمات النازحين من الجولان ومخيمات الفلسطينيين يتفنن رجال حسن نصر اللّه ب"الجهاد المقدس" ويستبسل لواء أبو الفضل الآتين من تربية الدريلات وتهجير الفلسطينيين من بغداد في ممارسة موبقات يرحب بها حسن نصر اللّه وتحالف الممانعة الجديد الذي انضم إليه عميل الأميركان أحمد الجلبي والمالكي.. تحالف مضحك يدل على مدى انحدار شعارات الممانعة..

يبدو واضحا وجليا في سوريا بأن هذا النظام وتحالفه الاقليمي الذي يستميت في البقاء يدمر في طريقه حتى الشعارات التي كان يتلطى وراءها.. ويتبنى ممارسات قذرة إلى الحد الذي يتجاوز ممارسات صهيونية يدعي ممانعته لها.. فالاغتصاب المنهجي الموثق من منظمات حقوقية محلية ودولية لم تجرؤ دولة الاحتلال على استخدامه كأحد أدواتها للقمع والاخضاع.. بينما يتفاخر بها رجال وشبيحة الأسد لغة وممارسة.. لقد كان لمواطن غزاوي أن يتهم جنودا اسرائيليين بسرقة منزله (نقود وذهب) فأقيمت محكمة وصارت فضيحة.. بينما في سوريا يقوم الجنود العقائديون بنهب وسرقة علنية ومحمية من مافيا الحكم وعبر بيع المنهوبات في أسواق معروفة دون أن يثير الأمر سؤالا واحدا عند مدعي الممانعة لهذا السقوط المريع لمن يفترض به أن يكون جيشا وطنيا.. وهنا لا يكفي أبواق النظام وآلته الدعائية القيام بعملية نفي بينما يشهد السوريون أنفسهم ما يجري لهم ولممتلكاتهم منذ دخول الدبابات إلى حوران في ابريل 2011.. وربما تكون عمليات النفي والتكذيب التي مارسها إعلام الأسد وقلب الحقائق بمساعدة قناة حسن نصر اللّه من أكثر عمليات الاستفزاز التي تعرض لها الشعب السوري والتي جعلته يدرك بأنه أمام عصابة لا يوجد لديها الحد الأدنى من الأخلاق أو الاعتراف بما يمكن أن يقول عنه الأبواق أخطاء.. فمن كان يقول بأن العصابات تروع الآمنين إنما كان يغطي على حقيقة تلك العصابات التابعة لشبيحة الأسد..

الأفغان الفلسطينيين في مخيم اليرموك..

لكي تستكمل الرواية الممانعة في جانبها الفلسطيني، وبالرغم من وضوح أعداد الشهداء الفلسطينيين في الثورة السورية بما يتجاوز الألف ومائة شهيد، أي أكثر مما قتل الاحتلال الاسرائيلي على مدى ٣ أعوام على الأقل وبالرغم من التهجير وقصف الميغ والمدفعية والصواريخ لمخيماتهم واعتقال الشاب والمرأة، من الانسان العادي إلى الطبيب والناشط الاغاثي، ورغم أن مدارس مخيم اليرموك وبيوته تشهد على في فترة من الفترات على حالة التهجير إليه إلا أن هذا النظام ظل يتباكى متاجرة على قضية الفلسطينيين كشعار يغطي به عورات كل ممارساته الفاشية حتى انكشفت..

لم يثر أمر تحول أحمد جبريل إلى ميليشيا في خدمة الأجهزة القمعية في تسليح، لبعض من ظن أنه يدافع عن مخيم اليرموك كمثل صارخ على تهافت الممانعة، الضجيج في ذلك المعسكر.. إن الذي يعرف ممارسات الاحتلال في فلسطين يتعجب من نصب حاجز يحاصر مدخل مخيم اليرموك بسور حديدي يمارس فيه شبيحة النظام مع جماعة جبريل ما لا يمكن تصوره بحق الداخلين والخارجين من هذا المخيم.. ويعرف الفلسطينيون على مدخل هذا المخيم ممارسات يخجل جنود الاحتلال ممارستها..

ورغم ذلك تهافت عدد من كتاب الممانعة وساستها إلى حد تحميل " المجهول" بداية مسؤولية ما كان يجري للفلسطينيين من أجل الحفاظ على صورة التجارة التي عُرفت عن نظام لاحقهم منذ تل الزعتر 1976 وطرد الشهيد ياسر عرفات وشق صفوفهم.. يبرر بعض كتبة هذا النظام من الفلسطينيين (أمثال رشاد أبو شاور وعادل سمارة وعبد الباري عطوان) وعلي جرادات) موقفهم بأن الفلسطينيين في سوريا عوملوا بشكل محترم منذ خمسينيات القرن الماضي.. والأمر صحيح.. لكن هذا ليس انجازا بعثيا ولا أسديا على طريقة أن سوريا من جعلها سوريا هم عائلة الأسد.. بل هو انجاز يحسب للشعب السوري الكريم قبل ولادة بشار الأسد وقبل تسلط أبيه في انقلابه العسكري..

المدهش اليوم أن تيارا من ضمن التيار العربي المدعي القومية، والمسيء أيضا للفكر القومي العربي، يذهب نحو اتهامات سخيفة تشبه اتهام السوريين بأنهم مجموعات من خارج سوريا.. وقد وصل الأمر بانكشاف لتيار " قومجي" ومدعي يسار بالتزوير وعلمانية من ذيلها وسطحيتها بأن ذهبت شخصية مثل ليلى خالد والمعروف أنها من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة الراحل جورج حبش إلى حد وصف ما جرى ويجري في مخيم اليرموك بأن الأفغان يسيطرون عليه.. شيء استدعى كم من السخرية والغضب من قبل شباب فلسطينيين يعرفون قاتلهم ومهجر أهاليهم ومدمر بيوتهم..

ذلك التهافت المفضوح لتيار الممانعة وبدون تردد أقول أن الثورة السورية فضحته من بين أشياء أخرى كثيرة.. هو تهافت سيؤدي إلى تغييرات هائلة بعد انجاز الثورة السورية لأهدافها، فما عاد المتاجرة بفلسطين واسم الفلسطينيين مقبولا ولم تعد تلك البيانات السخيفة التي تصدرها وزارة الخارجية السورية أو حزب اللّه عن انتهاكات اسرائيل بحق اسرى فلسطينيين كاستشهاد ميسرة أبو حمدية قبل أيام.. فتلك بيانات تثير الاشمئزاز والقرف في الوقت الذي يُعتقل فيه مئات آلاف السوريين ومئات الفلسطينيين ويجري تعذيبهم ورمي جثثهم بشكل مهين والمساومة المالية على المخطوفين من أجهزة الممانعة..

في النهاية نقول بأن الثورة السورية كان لها الفضل الكبير في فضح وتعرية تلك الممانعة بالشعارات والثرثرة وانكشاف كلي لتناقضات الحالة العربية وازدواجيتها.. ومن المخجل والمعيب حقا أن يقبل البعض تلويث تاريخه ومستقبله بتحالفات تقوم على خرافات وأساطير لتسويقها للبسطاء كتسويق حسن نصر اللّه وملالي ايران بأن مشاركتهم بقمع وقتل الشعب السوري إنما تأتي في سياق " الدفاع عن الشيعة ومقاماتهم" فهذا نفس طائفي لم تعرفه سورية بتاريخها ولم يعتدى على أية " أقلية" ولا مكون من مكونات الشعب السوري الذي هجر منه نظام الأسد المسلم والمسيحي وقمع ساستهم ومفكريهم.. وتسويق حسن نصر اللّه لقصة " الواجب الجهادي" في سوريا يكشف الدور الوظيفي لهذا الحزب في تلقي أوامر من طهران تبتعد كثيرا عن حدود فلسطين وتمثل سقوطا مريعا في " تحالف طائفي" يشكل خطرا حقيقيا إذا ما قام بمقابله ردود على ذات الأرضية.. فالثورة السورية التي جرى طيلة عامين حملة من التشويه بحقها لم تقم للاعتداء على مقام السيدة زينب بأية حال من الأحول.. فهذا المقام موجود قبل ولادة حافظ الأسد ولم يعتدى عليه أبدا.. أما مسألة ما يشيعه هؤلاء المستوردون من العراق ليموتوا في سبيل تحالف قذر فإنما يسوق لهم خرافة " السفياني" وتصدر في سبيل ذلك فتاوى عجيبة تخلط " العلماني بالديني" دفاعا عن وريث لا يرون كوارثه..

خيرا تفعل الثورة السورية حين تحافظ على تفوقها الأخلاقي وسموها مقابل ما يمارسه نظام العصابات المتحالف مع مرتزقة يرسلون ما استطاعوا من المغرر بهم إلى أتون الثورة السورية.. ومسألة الثمن الذي سيدفعه هؤلاء الذين انخرطوا في مشروع بشار الأسد سيكتشفون حجمه الكارثي على مستقبلهم، فربط المصير بوهم انتصار نظام على شعب ثائر يعني مصيرا لا يختلف عن مصير حكم الشبيحة في سوريا وزوال جمهوية الشبيحة الحالية التي يتفاخر بها البعض دون ادراك ربما لعواقب ما يمارسونه..

خواطر من وحي الثورة

■ خالد كنفاني

إن البوطي وأمثاله وأقرانه يجرون الناس معهم إلى الذل والمهانة التي اعتادوها واستلذوا بها وتنعموا من خيراتها، إنه "حب الدنيا وكراهية الموت"، يشتم الخطباء الدنيا وملذاتها على المنابر حاضين الناس على العزلة والخنوع والاستكانة بينما يتاجرون هم بأفراح وأتراح الناس ويسيرون تجارتهم ويعيشون في أحسن البيوت ويملكون المحال التجارية والسيارات الفارهة. فقد مشايخ الشام كرامتهم وإنسانيتهم منذ زمن بعيد، وإلا فكيف يمكن تفسير هذا البرود واللامبالاة أمام الدماء التي تسيل في شوارع المدن السورية بينما يخرجون هم على الناس بأحاديث الطاعة والخضوع؟ إن طفلا كحمزة الخطيب أجل وأرفع وأعلى هامة من كل هؤلاء الأقزام الذين استمرؤوا النفاق والذل وتمرغوا في أحضانهما. هذا الطفل الذي قرر أن يقول "لا" عندما خضع الآخرون فكان جزاؤه التمثيل بجسده البريء على أيدي من يدعونا البوطي والباري والبزم وغيرهم إلى طاعتهم والقبول بفتات موائدهم.

لم يرد الرئيس الشاب أن يقوم بما يخالف ما قام به والده، فقد أبقى هو وحاشيته على المبدأ مع اختلاف الأسلوب، فاستمر قمع الكلمة والرأي الحر ولكن بوسائل رجال الدين من جهة ووسائل التحريض الشعبي من جهة أخرى. فقد تم إطلاق سلطة رجال الدين بما يتعلق ب"الخروج على الحاكم" ودرء "الفتنة" بينما تم توصيل رسالة هامة إلى الناس بأن بعض "المخربين" يريدون أن ينغصوا عليهم عيشهم "الرغيد" المليء بالموبايلات والسيارات ناهيك عن الحشد الإعلامي وراء حماس وحزب اللّه مما دفع الكثيرين للاعتقاد فعلاً بأن أشخاصاً مثل ميشيل كيلو وهيثم المالح يريدون إفساد حياة الناس وعليه فهم يستحقون ما يجري لهم. كانت المفارقة رهيبة لدى خروج مسيرة مؤيدة لحزب اللّه وترفع راياته من سيارات تحمل أفخم الماركات العالمية وأغلاها، وهو ما قام به الأب حين كانت حاشيته تمتلك أفخم السيارات بينما تطلق شعارات الاشتراكية والتقشف و"المجهود الحربي".

ما يطرأ اليوم في حياة شباب سوريا هو حدث تاريخي بكل المقاييس، فأقصى درجات التمرد تجلت فيما مضى برفض الاستماع إلى أستاذ في مدرسة أو مخالفة إشارة مرور، وهو بالطبع تمرد سلبي ومشوه، غير أن قيم مجتمع البعث حولت قسماً كبيراً من السوريين إلى انتهازيين وفوضويين يتباهون غالباً بمخالفة القوانين أو تحدي الأنظمة. ولهذا كله كانت الثورة صدمة لمعظمهم لأنه لم يتم فهمها في البداية إلا ضمن السياق الفوضوي ذاته، وهي بالمناسبة نظرة الناس ونظام الحكم على حد سواء، وهو ما يفسر أيضا رد الفعل العنيف من قبل الأمن كما يفسر تصرف الكثيرين كالنعام حين دفنوا رؤوسهم في الرمال وقالوا ببساطة: "ما في شي" واتهموا الثوار بالتخريب وتدمير البلد وغيرها من سيول الاتهامات بحق ثوار الحرية.

وجد المثقفون والمفكرون المعارضون أنفسهم وللمرة الأولى خارج سكة الثورة، فكل تحليلاتهم وتبسيطهم للوضع الداخلي في سوريا أدت إلى المزيد من بعدهم عن الناس وفهم متطلباتهم، وكان القسم الأعظم من هؤلاء يتحدث عن أمور لم تعد حتى موجودة في سوريا منذ زمن بعيد وهو ما كشف اتساع الهوة بين المعارضة والجماهير، ونحن عندما لا ننكر مشروع التدمير الثقافي والسياسي الذي مارسه النظام عبر عقود طويلة فإن علينا الاعتراف بأن المعارضة في أغلبها لم تأت من قلب الجماهير وإنما هبطت عليها من الخارج، وبالطبع لا ننسى استثناء "التنسيقيات" على الأرض، ولكن حديثنا هنا عن من كانوا على طول الخط يدعون تمثيل آراء الناس وتطلعاتهم وظهر لاحقاً أنهم لم يسمعوا لهؤلاء الناس يوماً.

حاكم يقتل شعبه بينما شعبه يشتمه ويرفضه ويتوعد له صباح مساء، هل في الأمر فلسفة لا يمكنكم فهمها؟ لعل من أهم تجليات الربيع العربي أن انقلب الأطفال وبسطاء الناس إلى مفكرين وفلاسفة بينما هبط المنظرون والمحللون والسياسيون إما إلى معقدين نفسياً وعقلياً وإما إلى ملاكمين ورعاع لم تعد ملابسهم الفاخرة ولا كلماتهم الممجوجة التي لا يزالون يرددونها منذ عقود تنطلي على أحد، والأمر ينطبق على رموز النظام والمعارضة على حد سواء. فقد تبين لنا (وأنا أتحمل مسؤولية هذا الكلام) أن كلا الطرفين لم يعد يفهم الشعب ولا متطلبات هذا الشعب، فالكل يعلم متى التحقت الكثير من وجوه المعارضة بالثورة وكلنا يعلم كذلك سفاهة رموز النظام وانحطاط إدراكهم.

تسارع تطور الأمور وزاد عدد المتطفلين على الثورة من وزراء وسياسيين ومنظرين من مختلف دول العالم، كان الجميع يعطي توصيفات وتحليلات لما يجري على الأرض في سوريا بينما لا يوجد أي منهم على الأرض، أو على الأقل لم يدخل سوريا في حياته أو ربما غادرها منذ ما لا يقل عن عشرين عاماً اختلفت فيها طبائع الناس كما اختلفت عاداتهم وتقاليدهم وقيمهم. وبدأنا بسماع نظريات وتصريحات وتفسيرات للثورة والمظاهرات ومطالب الثوار على طرفي المسألة: المعارضة والنظام. وهكذا تم بناء نظرية العصابات المسلحة والمندسين والإمارات السلفية بل وتقديم قرابينها على الهواء مباشرة على شاشة التلفزيون السوري وحليفتها شاشة الدنيا، وظهر فجأة عدد رهيب من المطبلين والمزمرين الذين يبنون النظريات ويخوضون في إثباتها وكانوا على استعداد لإقحام أي دليل أو معلومة في خانة اتهام الثورة ووصفها بأبشع الأوصاف. وكان واضحاً أن هناك ميزانية إعلامية ضخمة تم توظيفها لخدمة النظام والطعن في الثورة وهي لم تشمل السوريين فحسب بل امتدت لتصل إلى شخصيات من لبنان والعراق والأردن ومصر وتركيا وغيرها. وفجأة ظهر كذلك مقدار الاختراق الرهيب الذي كان النظام يزرعه منذ عقود طويلة داخل بلدان أخرى وكأنه كان يخبئ "بوقه" الأبيض ليوم الأسود.

ومن يدعي أن المشكلة محصورة في البعثيين فقط ينسى فصولاً طويلة من التاريخ. فالتجار ورجال الدين أسهموا بشكل فعال في تدجين الشعوب وغسل دماغها فكرياً وامتصاص جيوبها اقتصادياً. ولا يمكن لأحد أن ينكر الدعم الذي تلقاه النظام من هاتين الطبقتين وخاصة بعد عام 1970 عبر شرعنة وجود النظام ناهيك عن دعمه مادياً، وهي صفقة تاريخية مشبوهة أجلت الحراك الشعبي السوري أربعين عاماً عانى فيها الكثير والكثير. ولكن الأمر نفسه ينطبق على هاتين الفئتين، فهما من هذا الشعب وهما كما البعثيين لم يهبطوا علينا من المريخ، وعلى هذا الكلام أن لا يتم فهمه في سياق التجريح بالشعب السوري الذي أفخر بالانتماء إليه، ولكن وكما قلنا في بداية المقال، فإن عين وعقل المفكر يجب أن تسبر أغوار المسائل لا أن تبقى سطحية، والدراسة المجتمعية الدقيقة مهمة جداً لفهم الظواهر الاجتماعية والثقافية المختلفة في أي مجتمع، ولهذا علينا أن لا نتعامى عن حقيقة وجود قيم سائدة في المجتمع تميل إلى الفساد والفوضى والعبثية والعصبية، وأفراد النظام هم من هذا الشعب لا من غيره وما مارسوه لم يكن بعيداً جداً عن ثقافة العنف السائدة أساساً في المجتمعات العربية عموماً والمجتمع السوري خصوصاً. وأود التكرار هنا أن هذا كله ليس تبريراً للنظام ولا دفاعاً عنه ولكنه محاولة لتجنب أخطائه والقضاء على كل مظاهره المنحطة التي أودت بالبلاد والعباد إلى هاوية لا يعلم مداها أحد.

شعر السوري وفي كل مراحل ثورته بأنه ترك وحيداً يواجه الأقدار والرصاص وحده، وزاد شعوره بالظلم عندما رأى حتى الكثيرين ممن هم أبناء جلدته يتركونه لمصيره المحتوم. ورغم ثقل الشعور بتخلي القوى الكبرى عنه فإن ذلك بالنسبة إليه كان يمكن فهمه أو إيجاد أكثر من تفسير له، أما أن يقف شركاؤه في الوطن ضده فكان عسير الفهم والتصديق. ظهر الكثيرون ممن ادعوا المعارضة على حقيقتهم، وغص السوري الثائر عندما اكتشف لاحقاً أن عدداً من هؤلاء كان يعارض بموافقة أمنية، وأن استنجاده بهم كان كالمستجير من الرمضاء بالنار. زادت صدمته عندما وجد كثيراً من أبناء بعض مدن وطنه لا يأبهون لما يجري له، وبينما يعلن هو إضراباً مفتوحاً ويتحمل خسارة محله أو متجره وهو يرى الشبيحة يقتحمونه ولكنه لا يخاف ولا يفك الإضراب بينما تواصل مدن أخرى حياتها الطبيعية إما لخوف أو حتى عدم قناعة بنفع الإضراب من عدمه. لا نريد من هذا الكلام إثارة أية نعرات ولكنه توصيف واقعي لما تجري عليه الأمور كما أنه سرد لما يرويه أبناء بعض المحافظات الثائرة من مرارة وغصة في حلوقهم لهذا الفارق الكبير في التجاوب مع الثورة ولو حتى بأبسط متطلباتها (خليك بالبيت)، هو ينزل إلى الشارع حين يجب التظاهر ويبقى في البيت حين يعلن الإضراب، هو ببساطة يقف عند كلمته لا يخشى من أجلها أحداً، فلماذا لا يفعل الآخرون ذلك؟

الطارئون على هذه الثورة أكثر من أصحابها الفعليين. يقف ناشط (وهي بالمناسبة تحولت إلى مهنة) من قلب أمريكا ليعطي التعليمات العسكرية الطنانة "اهجموا، لا تتراجعوا، حاصروهم" بينما يدوس هو بكامل قوته على أزرار جهاز الكمبيوتر دلالة على نصرته للثورة بينما يرتشف بعضاً من قهوة الصباح على الطريقة الأمريكية. وتخرج ناشطة أخرى متلحفة بعلم الاستقلال لتملأ الشاشة صراخاً وشتماً للجميع (ليتبين لاحقاً أن سبب غضبها هو نسيانها في أحد المنتديات أو المؤتمرات)، أما الفئة الأسوء فهي من استفادت من النظام عشرات السنين ثم تخرج اليوم لتعلن انشقاقها لنيل المزيد من المكاسب. السفير الزوج في الإمارات والسفيرة زوجته في قبرص! أي وطنية هذه؟ وكيف يكون الرجل وزوجته في منصبين هامين إن لم يكونا من المرضي عنهما كل السنوات السابقة؟ أما رئيس فرع الأمن السياسي لسنوات في اللاذقية يخرج علينا اليوم بخطاب رنان مفعم بالوطنية من مقر الحرية في الدوحة ليعطينا دروساً في الفساد ويشتم النظام. وخاتمة المأساة مع العميد مناف طلاس "حامي الحريات وملهم الأجيال" والذي كان إلى وقت قريب من أقرب المقربين من كل من بشار الأسد وماهر الأسد فنجده يؤدي الحج في باريس والعمرة في مكة ثم إفطار رمضان في اسطنبول ليرسم ويخطط لنا مراحل انتقالية وعهوداً ذهبية ناسياً أن الشعب الذي سيرمي هذا النظام في البحر لن يسمح بأزلامه وفلوله وبقاياه أن يرتقوا حتى إلى منصب موظف شكاوي أو شرطي مرور.

آخر الكلام:

فكر بأن تشعل شمعة بدلاً من أن تلعن الظلام

الثورة في عين الخطر (3)

حتى لا يضيع الساحل

■ مجاهد ديرانية

ربما أخطأت في نشر هذه المقالة تحت عنوان "الثورة في عين الخطر"، ولو أنه كان "مستقبل سوريا في خطر" أو "وحدة سوريا في خطر" لكان أنسب، لأن الثورة ستنجح - بإذن الله - وسوف تتحرر سوريا من الاحتلال الأسدي المجرم الظالم عمّا قريب، ولكن الاستقلال قد يكون منقوصاً بخسارة جزء من الأرض السورية، منطقة الساحل التي يمكن أن تُفصَل في دُوَيلة علوية مستقلة لا قدّر الله. من أجل ذلك لا بد من عمل، ومن أجل ذلك كتبت هذه المقالة.

لقد بات مؤكداً الآن أن أميركا والقوى الرئيسية في المجتمع الدولي (الغربي تحديداً) ينفقون الوقت الطويل في وضع الخطط وتنفيذ المؤامرات لسرقة الثورة أو إفشالها وتعطيلها عن بلوغ غايتها وتحقيق أهدافها، وهم يفكرون في كل التفصيلات ويخططون لكل الاحتمالات، فماذا عن مشروع الدويلة العلوية؟ التقيت منذ شهور بصديق ثقة يعمل مع المعارضة، واهتممت بسؤاله عن هذه المسألة فقال: لا تكاد أي جماعة من المعارضة تلتقي مع أي طرف غربي إلا ويُفتَح في اللقاء موضوع الدولة العلوية. إنه احتمال يفكرون به دائماً، وهو موجود "في الخلفية" طول الوقت ولو أنه ليس من الأولويات المختارة حتى الآن.

وماذا عن بقية الأعداء؟ روسيا ستشجع هذا الخيار، ولا بد أنها كانت تفكر بالبقاء في الساحل طويلاً حينما بدأت بتوسيع وتطوير قاعدتها البحرية في طرطوس منذ أيام الثورة المبكرة، ولعلها تجد في دويلة صغيرة تمنحها التسهيلات الكافية بديلاً عن الدولة الكبيرة التي فقدتها. أما إيران - التي أنفقت عشرات المليارات وعشرات السنين في بناء مشروعها الاستعماري على أرض الشام - فإنها ما زالت تقاتل بشراسة منذ أول يوم من أيام الثورة للدفاع عن مشروعها، وسوف تتشبث بكل شبر من أرضنا التي بسطت عليها نفوذها في غفلة منّا وغفلة من الزمن، فإذا خسرَت تسعة أشبار فلن تتخلى عن العاشر.

* * *

قبل أن نفكر في أي حل أو مشروع للإنقاذ فإن علينا معرفة الوضع الميداني العسكري في المنطقة، فما هو يا ترى؟ لحسن الحظ فإنني مطّلع على التفاصيل بشكل جيد، وأستطيع أن أصفها قبل أن أقترح العمل المطلوب.

لا تكاد توجد أي قوة للجيش الحر في مدن الساحل الرئيسية، اللاذقية وبانياس وجبلة وطرطوس، بل يمكننا القول إن تلك المدن تخضع حالياً لاحتلال صارم يشبه احتلال مدينة حماة، ولعل من المناسب أن يؤخر الجيش الحر دخولها حتى الأيام الأخيرة من المعركة.

حالياً تنتشر كتائب الجيش الحر في الساحل في المناطق الجبلية، في جبلَي التركمان والأكراد (وجبل صهيون الذي يعتبره إخواننا في المنطقة جبلاً مستقلاً وأراه أنا امتداداً لجبل الأكراد، ولا مشكلة في التسميات، المهم أن نفهم الواقع ونُخلص في العمل). في تلك الجبال توجد عشرات الكتائب، ربما نحو ستين كتيبة أو سبعين، وهو عدد يزيد وينقص بين وقت وآخر بسبب تشكيل كتائب جديدة أو دمج كتائب قديمة أو حلّها. ولكنه كبير جداً على تلك المنطقة الصغيرة، وهذه هي المشكلة الأولى لأنها تؤدي إلى تشتيت الجهود، لا سيما وأن أعداد المقاتلين في أكثر الكتائب قليلة، ربما نحو خمسين أو ستين بالمتوسط، وقليلاً ما يزيدون على مئة. وقد شهدت السنة الماضية محاولات متعددة لتوحيد الكتائب وضمّها في كيانات جامعة، وشاهدنا بعض النجاحات الشكلية، ولكن نستطيع القول إن الوضع لم يتغير في نهاية الأمر وبقي التشرذم هو الصفة الغالبة.

المشكلة الثانية هي الحصار والحظر غير المعلن على توريد الأسلحة لمجاهدي الجبل، فهم من أقل الكتائب حظاً في الحصول على الأسلحة والذخائر، رغم أنهم - نظرياً - من أكثر الكتائب حاجةً إليها. ويزيد المشكلة سوءاً أن مجاهدي المنطقة يتعرضون إلى ضغط دائم لتقييد حركتهم حتى لا يشكلوا خطراً على المناطق السكانية العلوية، وهو ضغط تشترك فيه أطراف خارجية وداخلية. هذه المشكلة نتج عنها شحّ دائم في السلاح، بحيث أستطيع القول إن حصة المقاتل الواحد من السلاح والذخيرة في جبلي الأكراد والتركمان هي أقل الحصص في كل أنحاء سوريا، وهذا هو السبب (أو أحد الأسباب) في تعثر أكثر من عملية تحرير واسعة بدأت بها الكتائب في الشهور الماضية ثم عجزت عن إكمالها.

وفي هذا المقام يحسن أن أشير إلى محاولة جادّة وخطيرة لاحتواء العمل العسكري في الساحل، فقبل نحو ستة أشهر تعرّضت الكتائب هناك إلى إغراءات وضغوطات هائلة، وبطبيعة الحال فإن المال هو العنصر الأساسي الذي يمكن أن تستعمله أي جهة في الضغط والإغراء. ليس لأن المجاهدين يريدون الثراء، وإنما لحاجتهم إلى شراء السلاح والذخيرة والإنفاق على ضرورات الحياة، بالإضافة إلى كفاية أسرهم التي تركوها بلا مُعيل وانصرفوا إلى الجهاد، فمن أين يأتون بما يصرفونه في ذلك كله؟ عندئذ جاءت بعض الجهات فعرضت أن تصرف لكل مقاتل راتباً شهرياً قدره مئتا دولار، بشرط أن يسجل المقاتلون جميعاً أسماءهم الثلاثية ويقدموا معلومات كاملة عن كتائبهم ومواقعهم! واضطر كثيرون إلى الرضوخ، فاستلموا راتبين في شهرين متعاقبين، ثم انقطعت الرواتب وذهب الممولون بالأسماء والمعلومات. مع ذلك لم يستسلم المجاهدون واستمر أكثرهم ثابتين في الميدان برغم الحاجة والحرمان، أثابهم الله على ثباتهم خير الثواب.

المشكلة الثالثة هي الوجود الضعيف أو شبه المعدوم - في منطقة الساحل - للقوى الرئيسية التي تشكل ركيزة الجهاد في سوريا، وهي "التجمعات الجهادية الكبرى": الجبهة الإسلامية وجبهة تحرير سوريا وجبهة النصرة (وما يلحق بها من تشكيلات وألوية)، فقد ركزت تلك القوى الجهادية عملها في الشمال بشكل رئيسي ثم في الوسط والشرق وبعض المناطق الأخرى، وأهملت الساحل إهمالاً كلياً أو شبه كلي. لماذا صنعت ذلك؟ لا أدري. من هذه النقطة الأخيرة يبدأ العمل.

* * *

أقترح أن يقسم مشروع الإنقاذ إلى قسمين تُكلَّف بكل منهما جهة محددة. القسم الأول هو مسؤولية الداعمين الذين يُنتظَر منهم تسليح كتائب المنطقة وتمويل عملياتها. الملاحَظ أن أكثر الداعمين صاروا يصرّون مؤخراً على توحيد الجماعات المسلحة قبل دعمها، وهذا اتجاه صالح في العمل ولا بد أن تنشأ عنه ثمرات طيبة لأن الفُرقة مرض قاتل، ولكن ألم يلاحظ الداعمون أمراً مهماً؟ كيف لم ينتبهوا إلى أنهم هم أنفسهم مطالَبون بما يطالِبون به الآخرين؟! أليس الأولى بهم أن يوحدوا جهودهم وأن ينسّقوا بينهم ليكون عملهم أكثر تركيزاً وفائدة؟

المطلوب من الداعمين أن يدرسوا واقع المنطقة وحاجة كتائبها إلى المال والسلاح، ثم يتفقوا فيما بينهم على توجيه الدعم الكافي لتلك الكتائب، على أن تجتمع في جامعة واحدة، جبهة أو مجلس أو ما شئتم، وأن تكون لها غرفة عمليات مشتركة وهيئة أركان موحدة تدير المعارك إدارة مركزية، وتتولى توزيع المال والسلاح بما يتناسب مع قوة الكتائب وأهمية الجبهات والعمليات.

القسم الثاني من مشروع الحل هو نقل جزء فعال ومؤثر من القوة الجهادية الضاربة إلى المنطقة، بحيث لا يقل العدد الإجمالي للمجاهدين المرابطين في ريف اللاذقية عن مِلاك فرقة نظامية، أي نحو اثني عشر ألفاً. بالطبع لن أتهور فأطلب من لواء الإسلام أن يترك جبهة دمشق ولا من لواء الحق أن يترك حمص، ولكن أستطيع أن أطلب من المجموعات الجهادية الثلاث الكبرى - أحرار الشام وصقور الشام وجبهة النصرة - أن تسحب عدداً من مقاتليها من الشمال والشرق والوسط، فترسل كل منها لواء يضم ألفين من المجاهدين، فهؤلاء ستة آلاف، ينضم إليهم مثلهم من كتائب المنطقة فنحصل على الفرقة المطلوبة.

فيا إخواني الكرام في النصرة والصقور والأحرار، إني أتوجه إليكم بنداء مخلص عاجل فأقول: هذا ميدان من أهم الميادين وهذه جبهة من أخطر الجبهات، فسارعوا إلى نجدتها قبل فوات الأوان.

* * *

بقيت نقطة أخيرة لا بد من بحثها: هل من المصلحة فتح جبهة الساحل الآن؟ هذه المسألة تحتاج إلى اجتماع العقول واستشارة أهل الرأي، وربما فرضت الموازنات تأخير المعركة حتى لا نفتح جبهة حرب واسعة جديدة مع القوى الدولية. ولكن عدم فتح المعركة لا يعني أبداً عدم الاستعداد لها، فإنها آتية لا شك فيها، وعندما يفقد النظام العاصمة ويصل إلى لحظة الاحتضار سيحاول التشبث بالقطعة الأخيرة التي يأمُل في الاحتفاظ بها وفصلها عن سوريا التي خسرها إلى الأبد.

إن من أخطر الخطر أن نهمل الإعداد والاستعداد وأن ننسى الساحل فيبقى منطقة مكشوفة بلا دفاع، فإننا لو خسرناه - لا قدّر الله - فقد لا نسترجعه بعد ذلك أبداً. يا أيها المجاهدون: أنقذوا الساحل قبل أن يضيع، فإنه إذا ضاع لم يردّه ندم ولم تردّه الدموع.



مآلات الثورة السورية

■ خالد قنوت

قد تكون أسهل وأبسط العبارات هي الأكثر صدقاً لتوصيف حالة سياسية وبالتالي تكون أبسط الاستنتاجات وأقلها تعقيداً هي الأقرب للتحقق وللواقع. يمكن أن يغوص المحلل بالتراكيب الفلسفية والسياسية والإسقاطات التاريخية ويصل لنفس النتائج أو لنتائج معقدة ومركبة يصعب تفكيكها وحلها وحتى فهمها على المستوى الشعبي الذي أعتبره حتى الشهر الخامس والعشرين من عمر الثورة السورية، هو الأكثر شفافية وفاعلية.

الحالة السورية المعقدة، تم بكل جد واجتهاد وخبث إيصالها إلى شفير مخاطر حقيقية، تتهدد الوطن والإنسان السوريين ومصيرهما.

في المقالات السابقة، تعرضت لأسباب الثورة والعناصر الداخلية والخارجية الفاعلية فيها وفي هذه المقالة أتحدث عن مآلات هذه الثورة التي قد تكون منعطفاً تاريخياً لمفهوم الثورات ضد أقسى وأكثر الأنظمة الشمولية الاستبدادية دموية وعنفاً حتى وصل إلى اعتباره احتلالاً تجاوز البربرية في تدميره لبلد وقتله لشعب.

في مآلات الثورة، سأقوم بمسح كل الاحتمالات الممكنة ابتداءً بالأكثر سوءاً وانتهاءً بالأكثر فائدة ونفعاً لسورية والسوريين:

الاحتمال الأول قضاء النظام على الثورة: هذا السؤال واجب التعاطي به على كل سوري ثائر أو متعاطف أو مهتم بالثورة السورية من باب استخلاص العبر اللازمة والكافية لمنع تحقيق هذا الاحتمال والعمل على ذلك بكل مسؤولية وطنية. لكن مالذي يعنيه أن يتمكن النظام من القضاء على الثورة؟ وهل يستطيع النظام بعد كل هذا الدمار أن يرمم الوطن والدولة ومؤسساتها التي صادرها طوال عقود حكم الأسدين؟ وأن يداوي جراحاً صارت عميقة دامية في النسيج الوطني السوري؟ كل التحليلات العلمية تؤكد أنه مازال يمتلك القدرات التدميرية التي قد تمكنه من القضاء على الثورة وسنوردها لاحقاً ولكن هناك استحالة في تمكنه من حكم سورية ولعب الدور الإقليمي الذي مارسه سابقاً وحتى صعوبة الترميم والبناء الوطني.

القضاء على الثورة وبأي ثمن، يعني انتقال سورية من الحكم الأمني الذي ترسخ بعد أحداث الثمانينات من حكم حافظ الأسد في حربه على حزب الإخوان المسلمين وما تبعها من القضاء على الحياة السياسية السورية تماماً إلى حكم الشبيحة بكل ما تعنيه هذه الكلمة، السورية المصدر لغوياً، وما تعنيه من سقوط أخلاقي وإنساني سافر. ستكون الأجهزة ومؤسسات الدولة السورية محكومة من شبيحة طائفيين من كل الطوائف، قتلة ومغتصبين وسفلة وطنياً وأخلاقياً وإنسانياً ولصوص شرعيين. بعد ما يقارب المئة ألف شهيد سوري وعشرات الألوف من الجرحى والمشوهين ومثلهم من المعتقلين ومئات الآلاف من المهجرين وبلد ببنية تحتية مدمرة وباقتصاد منهوب، مالشكل الذي سيحكم فيها هذا الرئيس وعائلته سورية؟ أنها كارثة وطنية ولعنة ستطال الإنسانية ومفاهيمها.

النظام حتى هذا اليوم، يستطيع أن يطال كل مكان من سورية بطائراته وصواريخه وحتى ببعض القطع العسكرية على الأرض. النظام، سلم منطقة الجزيرة السورية للتنظيمات الكردية الموالية له ومازال يحتفظ بمطار القامشلي ومطار الرقة ودير الزور ويقاتل في حلب وحمص وحماة وحتى حوران وإدلب ومسيطر تماماً على الساحل السوري ويحشد في دمشق كل آلته التدميرية في معادلة الخراب الشامل أو البقاء الأسدي. النظام، نجح جزئياً بتحييد الأكراد والدروز وبشكل شبه كامل العلويين إما بإرهابهم مباشرة وإما بتخويفهم من المكونات السورية الثائرة وأهداف ثورتهم أو بالتنازل للبعض بإعطائه بعض المطالب، كسباً للوقت. النظام، استطاع أن يحول الحراك السلمي للثورة إلى تسليح وعنف هو الأقدر بالمدى المنظور على التحكم به بعد أن قام بتصفية واعتقال وتهجير جيلين من كوادر الحراك السلمي مبقياً على المجموعات المتطرفة التي تخدم سياسته في تحويل الثورة المدنية الوطنية إلى تمرد ديني متطرف يستقطب المجموعات التكفيرية الغريبة عن المفاهيم السورية المنفتحة على التعايش مع الاختلاف. النظام، لعب على وتر الخلافات الاجتماعية، دينية وطائفية منها: في أحياء حمص وفي ريف حماة ومدن الساحل السوري، وبين السويداء وحوران، وقومية منها: بين الأكراد والعرب في رأس العين والحسكة وأحياء حلب وطبقية مناطقية: بين أهل الأرياف والمدن السورية. النجاحات هنا نسبية حيث قاوم السوريون بغريزتهم الوطنية كل تلك المحاولات ولكن هناك شروخ وتصدعات حصلت يجب التنبه لمخاطرها المستقبلية. النظام، يمارس سلطته الإجرائية وكأنه يعيش خارج الواقع ولكن هذه إحدى وسائل حربه النفسية وقد تنجح، فهو من يصدر المراسيم والتقسيمات الإدارية الجديدة التي تتوافق من أجندة غير واضحة للعيان بعد ومازال يدفع رواتب موظفي الدولة والقوات المسلحة رغم الكارثة الاقتصادية وهو من ينشر الإشاعات تلو الإشاعات لتتداولها ألسنة وتعليقات الثوار قبل الصامتين ليكذبها لاحقاً فيصيبهم بالقنوط والتشاؤم. النظام، استطاع ببراعة وبمساعدة أصدقائه المخلصين أن يصيب العالمين العربي والغربي، المترددين أصلاً، من المد الديني التكفيري بعد أن شوه الثورة السورية بمساعدة مقصودة وغير مقصودة من إعلام الفضائيات العربية والغربية.

من ناحية أخرى، ساهمت المعارضات السورية بكل أطيافها على نقل حالة تشرذمها إلى الثورة في الداخل، خاصة بعد أن تعسكرت الثورة وكان لقوى سياسية محددة كل النية والتعمد في إقصاء الآخرين ومنع تشكيل قيادة عسكرية تقود العمل العسكري رغم كل التحذيرات التي أطلقها العقلاء والشرفاء. لقد عملت هذه القوى على أجندة حزبية مصلحة محددة توصلها إلى سدة الحكم في سورية على غرار ما حصل في مصر وتونس رغم اختلاف الحيثيات الواقعية لذلك لكنها مازالت تعتقد أن فوضى السلاح والعمل العسكري هو من يعطيها الشرعية مستقبلاً بحكم قدراتها الاقتصادية وتحالفاتها السياسية الخارجية كل ذلك على حساب دماء السوريين وعلى حساب الوطن.

المثير للاشمئزاز، هذا التواطؤ الدولي غرباً وشرقاً مع هذا النظام الذي يستطيع دائماً أن يقدم للجميع دون استثناء، أعداء وأصدقاء، خدماته ويؤمن مصالحهم دون أي حسابات سيادية وطنية سورية بينما لن تقدم لهم الثورة ذلك بالمطلق ولم يستطع أي تكوين سياسي معارض أن يضمن لهم أدنى المصالح في سورية بعد الأسد، لبعدهم عن روح الثورة وجماهيرها. لقد مارس العالم سياسة التضليل والتسويف والنأي، معطياً النظام كل الأسباب والوسائل للقضاء على الثورة التي تابعت مشوار الربيع العربي في فرض شعار (الشعب يريد) الذي إن ترسخ في ضمير الشعوب العربية فهذا يعني انقلاباً جذرياً في الخريطة السياسية والاقتصادية العالمية، أيضاً قدم العالم الأسباب الموضوعية لانتقال الحركات الجهادية وفكرها إلى داخل سورية إما بتسهيل مرورهم وتمويلهم وإما بتقنين وحصار الإمداد المالي والعسكري لثوار الداخل من المنشقين عن جيش النظام والمدنيين المتطوعين.

بعد كل هذه المعطيات، يخطئ من لا يضع في حساباته هذا الاحتمال ويدرك أن هذا الخطر قائم وعليه إعادة التفكير جيداً والعمل على تفكيك هذه المعطيات، بسرعة ووعي وقبل كل شيء بوطنية عالية.

الاحتمال الثاني انهيار الدولة السورية: في مقالات ودراسات عديدة بينت كيف ربط النظام الأسدي كل السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية السورية وكذلك كل المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، به عضوياً وبأجهزته الأمنية جاعلاً منها كبش فداء لسقوطه في أي وقت من الأوقات. الأخطر، هي مؤسسة الجيش الوطني الأكثر قدرة على الحفاظ على الوطن وعلى الوحدة الوطنية والتي زجها النظام منذ اليوم الأول للثورة في حرب تدميرية لاأخلاقية ولاوطنية مع الشعب. هذه المؤسسات اليوم تتآكل وتتدمر دون أي حسابات لأي طرف في أطراف هذا الصراع لما تحمله الأيام القادمة لسورية إن استطاع النظام البقاء أو انهار. سورية ليست دولة محايدة وليست بعيدة عن أطماع الدول الإقليمية عربية أم أجنبية ومسألة صراعها مع الآخرين قائمة منذ نشأتها وأخطرها الصراع العربي الإسرائيلي.

من يمكن له أن يستبعد مطامع تركيا للسيطرة وضم مناطق من التراب السوري التي قد تتجاوز حلب وإدلب وكذلك أحلام أكراد العراق في تحقيق دولتهم التي تصل جبل الأكراد في ريف اللاذقية وانتقام مكونات سياسية لبنانية من تاريخ احتلال النظام السوري للبنان أو من الثورة ذاتها واقتطاع بعض المناطق الحدودية بحجة وجود لبنانيين هناك، أما الحلم الأردني الهاشمي بضم حوران الخصبة وخزان المياه الهائل، فهو أكثر من حقيقي؟. كل هذه التوجسات تزداد يوماً بعد يوم مع الارتباطات الاقتصادية للمناطق الحدودية مع هذه الدول وما قد يؤسس لارتباطات أكثر تعقيداً في المستقبل.

أما إسرائيل الأقوى عسكرياً فهي الأخطر على مستقبل سورية وعاصمتها دمشق بدون أي مبالغات. يتبع كل ذلك، مصالح إيرانية وروسية وغربية وأمريكية في اقتطاع الكعكة السورية الشهية.

كل هذه الاحتمالات قائمة وستكون قوية وحاضرة في حال فشلت الثورة وأنتجت بعد أكثر من عامين، كنتونات معزولة عن بعضها بسبب تشرذم سياسي وعسكري





على الأرض قد يفضي إلى سيطرة مجموعات متطرفة أو عشائرية على مناطق تمتلك القدرات الاقتصادية للبقاء وتضخم ظاهرة أمراء الحرب أيضاً.

في أحسن الأحوال، تداول ثم ترسيخ قيام فدرالية طائفية وأثنية لسورية كقيام دويلات سنية وعلوية وكردية ودرزية وغيرها مما يعني لبننة أو عرقنة جديدة، بمعنى البدء بتاريخ من الحروب الأهلية المرتبطة بالمحيط.

أيضاً، لا يمكن استعاد التدخل العسكري الأجنبي المباشر على الأرض السورية بعد أن شرع النظام الأبواب السورية لكل سياسات وأجهزة مخابرات العالم للتدخل وخاصة أن لكل دولة مبرراتها لهذا التدخل: وجود مواطنين لديها في سورية، وجود مناطق مقدسة دينية فيها، وجود قواعد عسكرية، تنامي المجموعات المرتبطة بالقاعدة، المخزون الكبير للسلاح التقليدي وغير التقليدي في سورية. لن تعدم الدول السبب والوسيلة للتدخل المباشر عندما تسمح لها الفرصة.

الاحتمال الثالث سقوط النظام وفشل الثورة: سقوط النظام الفعلي بدأ منذ أول رصاصة أطلقها تجاه شباب درعا في مظاهرتهم السلمية الأولى ومازالت تبعاتها تتوالى مع إصرار الشعب السوري على تحقيق أهداف ثورته ولكن تحت ضغط عنف النظام صار إسقاط النظام أهم أولوياته بحيث تحول بالمفهوم الشعبي إلى هدف التحرر من محتل غريب عنه تماماً تجاوز بدمويته أساليب الاحتلال العثماني والفرنسي والإسرائيلي التي عرفها في تاريخه المعاصر حيث كانت دهشة واستغراب المنتفضين واضحتين مع تصاعد وسائل النظام في القمع. لم يتوقع أهل حوران أن ترميهم قوات النظام بالرصاص وهم ينادون سلمية.. سلمية وكانت دهشتهم أكبر عندما أرسل دبابات الفرقة الرابعة لقتلهم مباشرة ثم توسيع استخدامه للسلاح الثقيل في كل المناطق الثائرة ومع انسحابه من مناطق خسرها تحت ضربات كتائب الجيش الحر أطلق العنان لطائراته ثم لصواريخه الإستراتيجية وسط ذهول السوريين وعجزهم عن التصدي لها.

لكن صبر الجيوش ليس بقدر صبر الشعوب، خاصة أن هناك الكثير من عناصر هذا الجيش لم يقبلوا بهذه الحرب فانشقوا عنه والكثير ممن يشعرون بالخزي والعار ولكن بالعجز أيضاً. هناك على الأرض نوع من التواصل بين قطعات للجيش النظامي وكتائب للجيش الحر يحققون فيها نوع من الهدنة لإدراكهم بعبثية هذه الحرب بين الإخوة.

سقوط النظام النهائي احتمال كبير في ظل الحالة المعنوية المتردية لقواته وقد يكون هذا السقوط بعدة أشكال:

- سقوط النظام مع تنامي القدرات العسكرية لكتائب الجيش الحر وامتلاكها وسائل تحييد سلاح الجو ووسائل التدمير للسلاح الثقيل ولكن الثمن سيكون تدمير للعاصمة ولمؤسسات الدولة وقد أعد النظام سيناريو تدمير العاصمة منذ أيام رفعت الأسد سيء الصيت، لامتلاكه منصات المدفعية على جبل قاسيون ومطار المزة العسكري وسيضع النظام كلفة سقوطه بميزان تدمير قلب سورية سياسياً وإدارياً بحيث تكون كلفة إعادة البناء ثقيلة للغاية.

- سقوط النظام بانقلاب عسكري من الحلقة الأقرب لنواته الصلبة، حيث من المستبعد أن تقوم قوات من الحرس الجمهوري أو الفرقة الرابعة بالانقلاب عليه لأسباب مرتبطة بالانتماءات الطائفية والعقائدية لعناصرها مع النظام. لقد استدعى النظام بعض الفرق العسكرية من مناطق الجولان والسويداء وغيرها لمحيط دمشق حيث كان من المحرم دخولها. قد يكون هناك من يعمل على الاتصال بقادة الصف الأول أو الثاني لترتيبات المبادرة بالتمرد ودخول خاطف لدمشق يدمر النواة الصلبة من حرس جمهوري وفرقة رابعة وأجهزة أمنية، وهذا ما أتمنى شخصياً حدوثه لأنه يحافظ على ما تبقى من الجيش وهيبته والأهم يحافظ على ما يمكن إنقاذه من مؤسسات للدولة.

- سقوط النظام بتدخل عسكري محدود قد يكون جوي إلى جانب كتائب الجيش الحر حيث يتم قصف مرابط المدفعية وتجمعات قواته وهذا سيبدأ بتدمير الدفاعات الجوية السورية وفرق عسكرية أخرى مما يعني انحلال الجيش وما يملكه من قدرات وهنا نستذكر الحالة العراقية وندرك الخطر العظيم القادم.

كل تلك الأشكال، تعني حالات تدمير متفاوتة للعاصمة وللدولة سيصطدم السوريون بواقع كارثي بكل المقاييس بشري واقتصادي وبنيوي وفي ظل تشرذم سياسي وعسكري. سيكون هناك صراع مرير سيبدأ بفوضى غير محددة وستتسابق قوى للسيطرة على سدة السلطة قد تكون من مكونات الجيش الحر أو المجموعات المتطرفة أو القوى السياسية الأكثر تنظيماً وقدرة على دفع الأموال وهي جماعة الإخوان المسلمين، بكل الأحوال سيتم البدء بنظام استبدادي جديد قد يكون قريب من النظام الأسدي وسيتم قمع كل حراك يرفض هذا الاستبداد ولكن الوضع الاقتصادي والمعاشي والتدخلات الدولية سيكون لها الأثر الكبير في ميل الناس لتأجيل أو لوقف ثورتهم والقبول بالواقع المستجد على علاته، وهذا يعني فشل الثورة في تحقيق أهدافها.

الاحتمال الرابع استمرار الثورة حتى النجاح: استمرار الثورة ويقصد به في ظل بقاء النظام لفترة طويلة وفي ما بعد سقوطه. هذا الاحتمال قائم بشدة لسبب أساسي هو إصرار السوريين الأسطوري على متابعة مشوارهم مهما كانت الأثمان لإدراكهم التام أن النظام لن يدعهم دون عقاب حتى ولو عادوا لعبوديتهم وبأن النظام يعرف أن أي حل سياسي يعني سقوطه بالنهاية. استمرار الثورة يعني أنها بوجود النظام وبزواله ستتابع لتحقيق أهدافه في الحرية وبناء دولة مدنية ديمقراطية تعددية على أسس دستورية واضحة. لا شك أن طول أو قصر هذه الفترة الزمنية سيكون مرتبطاً بعدة عوامل أهمها:

- صمود الحاضنة الشعبية للثورة وتفانيها في تقديم أسباب الاستمرار وقناعتها أن بديل هذا الاحتلال سيكون حرية وكرامة وإعادة بناء لدولتهم الجديدة.

- قيام تنظيم سياسي يعبر عن هذه الثورة ويتحمل المسؤولية الوطنية بكل شفافية ونزاهة ووعي، هذا التنظيم قد يكون داخلي أو خارجي، جديداً أو مستجداً أو تحالف قوى أو نسخة وطنية مصححة عن الائتلاف الوطني الحالي ولديه تمثيل حقيقي لتلك القوى وقاعدة شعبية كبيرة على الأرض يوجه البوصلة الثورية الوطنية خلال معركة إسقاط النظام سياسياً ومالياً وطنياً وعسكرياً ويغطي العمل العسكري ويقوده ثم ينتقل لقيادة المرحلة الانتقالية وصولاً إلى انتخابات أعضاء اللجنة التأسيسية لصياغة دستور سورية الجديدة ومن بعدها إجراء الانتخابات الرئاسية والبرلمانية.

- تحقيق مطلب أساسي للنصر وهو توحيد القوى العسكرية المقاتلة على الأرض تحت قيادة عسكرية مدنية وطنية مشتركة قادرة علمياً وعملياً وحازمة مع كل التجاوزات ومستبعدة المجموعات ذات الأجندات الخاصة التي لا تمثل الثورة وأهدافها، مرتبطة تماماً بالقيادة السياسية تنظيماً ومالياً حيث ستسيطر القيادة السياسية على الوسائل الإنتاجية في المناطق المحررة كمنابع النفط وصوامع الحبوب وغيرها للتمويل والإمداد، وعليها مهمة التواصل مع عناصر جيش النظامي غير الموالية لنظام الأسد وتأمينهم في حال الانشقاق أو في حال التعاون والتنسيق والحفاظ على العتاد والقدرات العسكرية من السلاح والكوادر البشرية فهناك معارك كبرى سيخوضها الجيش الوطني الحر بعد سقوط النظام من أجل إعادة توحيد البلاد ودحر مخططات المتربصين والطامعين به.

أغلب الترجيحات والتوقعات الدولية، تؤكد سقوط النظام مهما طال الزمن ولكن كلفة هذا السقوط تتحدد بعوامل استمرار هذه الثورة بقدرتها على إنتاج مكوناتها الذاتية بعيداً عن طروحات أبعدتها بشكل أو بآخر عن أهدافها وبقدر ما تكون بعيدة عن تجاذبات الدول وهنا الشعب السوري هو المالك الوحيد لتلك المقدرات وهو الحكم لأي أداء سياسي وهو صاحب المصلحة في انتصار ثورته.

على خط التماس

■ راتب شعبو

على الطريق يقف شاب بلباس الجيش بجانب خيمة مرتجلة من أغصان الشجر يلتجئ فيها حرّاس الطريق، وفي يده بارودة روسية. الملل بادٍ على وجهه، فنادرا ما تمرّ السيارات من هذا الطريق الذي يقع في منطقة تماس مع "المسلحين" (هكذا استقرت التسمية لدى السوريين الموالين بعدما تدحرجت طويلاً بين تسميات شتّى مثل "الجيش الحر" والإرهابيين والإسلاميين والعصابات والمعارضة المسلحة أو المعارضة وحسب). من البديهي أن القوات النظامية التي تقاتل هؤلاء "المسلّحين" مسلّحة هي أيضاً، غير أن تسمية هؤلاء بالمسلّحين تحمل دلالة على استنكار حملهم السلاح، فللجيش وقوات الأمن الحق في حمل السلاح، أما هؤلاء فإن حملهم للسلاح مخالف لطبيعة الأشياء ولذلك يكفي أن تعرّفهم بالمسلّحين.

القرية التي يوجد فيها هذا الحاجز شبه مهجورة، هدوء عام، الحركة شبه معدومة، والشاب الذي بلباس الجيش ينتظر بصبر فارغ انتهاء مناوبته.

حين تقترب السيارة يتقدم الشاب بتثاقل، ينظر في الوجوه ويعفينا من طلب الهويات، مشيراً إلينا بالمتابعة. لم يجد في السيارة علامات معادية. الطريق خالية تماماً من السيارات، المدرسة التي بجانب الطريق خالية من التلامذة، ومن الأولاد الذين يستغلون عادة خلوّ المدرسة كي يلعبوا في ساحتها. فقط الدجاجات التي تلتقط ما تيسّر لها من الأرض، والبقرة المربوطة بجانب أحد البيوت، تدل على وجود بعض الأهالي هنا. منذ أشهر دفن الأهالي هنا خمسة من أبنائهم في اشتباك مع "المسلحين". حينها كان الحاجز هنا شبيهاً بثكنة عسكرية صغيرة. عدد كبير من العناصر وأرتال من السيارات وجمهرة من السائقين والركاب. كان الحاجز حياً لأن الحركة إلى الشمال كانت ممكنة، وكان يمكن عناصر الحاجز أن يمارسوا سلطة طارئة على العابرين. ولكن بعد المعركة التي استهدفت الحاجز تغيرت الحال. تم الاستغناء عن الحاجز واستعيض عنه بجبل من التراب. فإما مرور غير كريم عبر حاجز وإما لا مرور. البديل من الحاجز هو قطع الطريق بالكامل. لم تعد الخدمة على الحاجز مغرية. باتت واجباً ثقيلاً ومملاً.

منذئذ ترك معظم الأهالي بيوتهم وانتقلوا إلى حيث يمكنهم تدريس أبنائهم وإلى حيث الأمان، وتطوّع بعض شباب القرية لحماية البيوت من النهب. تسأل أحد هؤلاء المتطوعين: هل يهاجم المسلّحون القرية لنهب البيوت؟ يقول: لم يحدث ذلك، ولكن هناك من يسرق تحت ستار المسلّحين. ويبتسم ابتسامة دالة.

نمضي في طريقنا. غير بعيد من المدرسة نجد، إلى جانب أحد البيوت، رجلاً منهمكاً بزرع شتلات البندورة. وليس بعيداً منه، تتجه امرأة شابة صوب بيتها وعلى ظهرها جرزة من الحطب. وبضعة أولاد يلعبون في أرض مجاورة للطريق. آلة الحياة أبقى من كل المعوقات.

على الطريق الصاعد إلى القرية التالية، وعند تقاطع الطريق الاسفلتي مع السكة الحديد التي كان يعبرها يوماً القطار المتجه إلى حلب أو العائد منها، نجد مجموعة من الفتيان بلباس الجيش، يلتفتون إلى السيارة العابرة ثم يواصلون انشغالهم بإعداد النار. علامة عدم الاكتراث هذه، تمنحنا رخصة مرور.

في القرية التالية تبدو الحياة أكثر طبيعية. على رغم أنه لا يفصلها عن "المسلّحين" سوى واد عريض. البيوت مأهولة، والحركة نشطة. للسرفيسات مواعيدها إلى اللاذقية، ومنها. هنا اعتاد الأهالي على أصوات القصف التي تبدو كأنها واجب يومي يؤديه الجنود النظاميون قبل أن يخلدوا إلى الراحة. تمر القذائف في أجواء هذه القرية قبل أن تؤدي مهمتها في مكان ما على الجبل المقابل. بات الريفيون يميّزون أيامهم هنا باختلاف وتيرة القصف، ويستشعرون التبدلات السياسية منها أيضاً. تقول امرأة: "كان القصف اليوم أشدّ من أيّ يوم آخر، خير إن شاء اللّه، ما الذي حصل؟"، ثم تعبّر عن استيائها من القتال وعن تأففها من الطرفين، وتتساءل بضجر: "من أجل ماذا؟". حين ينتهي الكلام، يكرر عجوز قوله: "لو بقيت سلمية، ولو كانوا يريدون الإصلاح حقاً، لكان الجميع معهم، لكنهم يقتلون ويخربون".

وسط القرية نصبت خيمة عزاء لمواساة أهل "شهيد بطل" سقط في دير الزور في مواجهة "المسلّحين" من دون أن يتمكنوا من إحضار جثته. في الخيمة يقول فلاح تقع أراضيه على السفح المقابل لمناطق وجود "المسلحين"، إنه يراهم يومياً ويرونه في ذهابه إلى أرضه وغدوه منها، ثم يعلّق مع ضحكة خفيفة: "لو أرادوا قتلي لقتلوني مئة مرة". ويضيف: "لو أرادوا تهجير هذه القرية أو قتل أهلها لفعلوا، ما الذي يمنعهم؟". غير أن هذه الكلمات لا تجد لها مكاناً في منظومة القناعات الناجزة.

بفتور، يدخل الناس خيمة العزاء ويخرجون متوجهين إلى بيوتهم بخطوات حائرة كنظراتهم. ولكن ثمة رجل يدخل بثقة ويقف في أول الخيمة وإلى جانبه رجلان أقل اعتداداً بنفسيهما. ينظر الرجل في وجوه المعزّين ملياً ثم يسلّم على الجميع بصوت مرتفع. رجل في الخمسينات من عمره، متأنق ويحمل في يده مسبحة زرقاء يداعب حبّاتها بهدوء. يصافح الجميع ويجلس واثقاً كما دخل، ويتكلم بصوت عال. يستفسر منه بعض من يعرفونه عن أشياء تتعلق بهموم خاصة. يردّ الرجل بثقة. يُطمئن حيناً ويقطع أمل السائل حيناً آخر. يشرب القهوة المرة ثم يترحّم على الشهيد وينهض بعدما جعل من نفسه لدقائق قليلة مركز اهتمام الخيمة. يبرر استعجاله بأن لديه تعزية أخرى في قرية ثانية. ينفرد قليلاً بوالد "الشهيد البطل"، ويصعد سيارته ويمضي. في الخيمة يدور الحديث عن سطوة هذا الرجل وعن فساده الذي جعل منه شخصية لها وزن. "لكنه يقف مع المنكوبين بفقد أبنائهم"، يُمرِرّ أحدهم تعليقه وسط زحمة الحديث.

في طريق العودة تكون الحواجز أقل استنفاراً. نستعمل جهة واحدة من الاوتوستراد الموصل إلى اللاذقية، فالقنص الذي يمكن أن يستهدف السيارة من الجهة الغربية حيث يتمركز المسلحون في الجبال، ممكن على ما يقال. طريق العودة خال كطريق الذهاب. أما على الحاجز الكائن في مدخل المدينة فإن الانتظار يطول بما يسمح لبائع قهوة أن يستثمر انتظار الداخلين وضجرهم.

النهار البيروتية 6 / 4 / 2013



التبليغ والميعاد في القانون السوري

■ ياسر مرزوق

يبقى التبليغ القانوني إجراءً لابد منه للتقاضي تحت طائلة البطلان ، فإذا نص القانون على ميعاد لرفع الدعوى أو تقديم طعن أو القيام بأجراء يحصل بالتبليغ يبدأ من تاريخ تبليغ الخصم ما لم ينص القانون على خلاف ذلك ، وكل تبليغ يكون بواسطة المحضرين أو برجال الضابطة العدلية ما لم ينص القانون على خلاف ذلك أما رجال الجيش فيبلغون بواسطة الشرطة العسكرية.

- يجب أن يشتمل محضر التبليغ على البيانات الآتية:

أ - تاريخ اليوم والشهر والسنة والساعة التي حصل فيها التبليغ.

ب - اسم الطالب ولقبه ومهنته وموطنه أو اسم من يمثله ولقبه وموطنه.

ج - أسم المحكمة التي يجري التبليغ بأمرها.

د - اسم المخاطب ولقبه ومهنته وموطنه فأن لم يكن موطنه معلوما وقت التبليغ فآخر موطن كان له.

ه - اسم من سلمت أليه صورة الورقة وتوقيعه على الأصل أو أثبات امتناعه وسببه.

و - توقيع المحضر على كل من الأصل والصورة.

ولا يجوز أجراء أي تبليغ قبل الساعة السابعة صباحا ولا بعد السادسة مساء ولا في أيام العطلة الرسمية إلا في حالات الضرورة وبأذن كتابي من رئيس المحكمة ، وتسلم الأوراق المطلوب تبليغها إلى الشخص نفسه أنى وجد ما لم ينص القانون على خلاف ذلك. وإذا لم يجد المحضر الشخص المطلوب تبليغه في موطنه يسلم الورقة إلى وكيله أو مستخدمه أو لمن يكون ساكنا معه من الأصول أو الفروع أو الأزواج أو الأخوة أو الأخوات ممن يدل ظاهرهم على أنهم أتموا الثامنة عشرة من عمرهم على أن لا تكون مصلحة المطلوب تبليغه متعارضة مع مصلحتهم.

أما إذا لم يجد المحضر في موطن المطلوب تبليغه من يصلح للتبليغ أو امتنع من وجده عن تسلم الورقة وجب أن يسلمها إلى المختار الذي يقع موطن المطلوب تبليغه في دائرته. وفي هذه الحالة يجب على المحضر أن يلصق بيانا على باب موطن المطلوب تبليغه بحضور المختار أو أثنين من الجوار أو أفراد القوى العامة.

كما يجوز التبليغ بطريق الإلصاق على لوحة إعلانات المحكمة لكل من يلزم بيان موطن مختار له ولا يفعل أو يكون بيانه ناقصا أو غير صحيح. ولا يجوز الاتفاق على اتخاذ هذه اللوحة موطنا مختارا.

فيما عدا النصوص الواردة في قوانين خاصة تسلم صورة الأوراق المطلوب تبليغها على الوجه الآتي:

أ - فيما يتعلق بالدولة، للوزراء ن أو الأمناء العامين، أو مديري المصالح المختصة.

ب - فيما يتعلق بالأشخاص العامة للنائب عنها قانونا.

ج - فيما يتعلق بالشركات التجارية في مركز إدارة الشركة لرئيس مجلس الإدارة أو للمدير أو لأحد من هؤلاء لشخصه أو في موطنه.

د - فيما يتعلق بالشركات المدنية والجمعيات والمؤسسات وسائر الأشخاص الاعتبارية تسلم الصورة في مركز إدارتها للنائب عنها بمقتضى عقد إنشائها أو نظامها فإذا لم يكن لها مركز إدارة سلمت الصورة للنائب عنها لشخصه أو في موطنه.

ه - فيما يتعلق بالشركات الأجنبية التي لها فروع أو وكيل في سورية تسلم إلى هذا الفرع أو الوكيل بشخصه أو في موطنه.

ز - فيما يتعلق بالمسجونين تسلم إلى مأمور السجن.

ح - فيما يتعلق ببحارة السفن التجارية أو بخدمها تسلم للربان.

- إذا كان المطلوب تبليغه غير معلوم الموطن تلصق خلاصة عن الأوراق على لوحة الإعلانات في المحكمة بموجب محضر وتعلن في صحيفة يومية. ويجوز التبليغ بطريق البريد المضمون مع أشعار بالوصول في الحالات التالية:

أ - إذا كان المطلوب تبليغه مقيما في بلد أجنبي، وكان موطنه فيه معروفا.

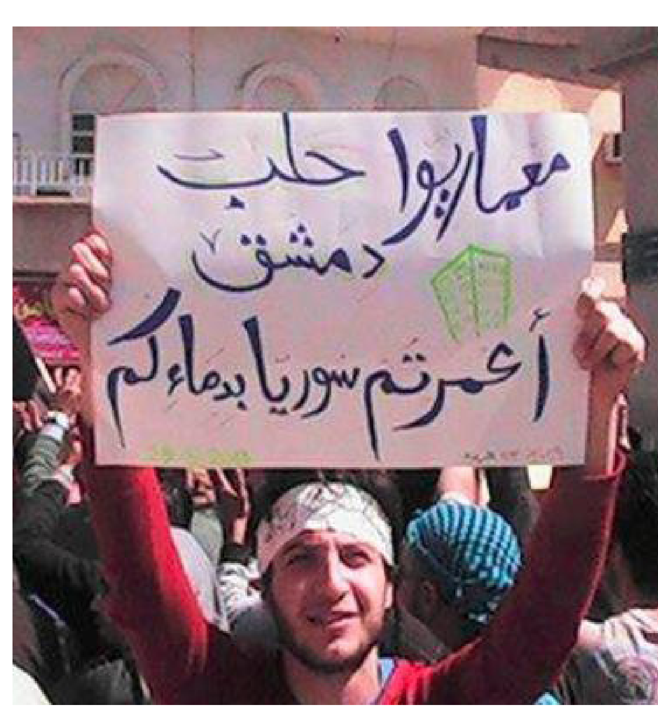
ب - إذا كان المطلوب تبليغه مقيما في سورية ورأى القاضي تبليغه بهذه الطريقة.

ج - في جميع الأحوال التي ينص القانون عليها.

إذا كان التبليغ موجها إلى شخص مقيم في بلد أجنبي يجري تبليغه برسالة مضمونة أو بمقتضى الإجراءات المقررة في القانون المحلي ما لم يرد نص في اتفاق دولي على خلاف ذلك.

إذا كان مكان التبليغ خارج منطقة المحكمة ترسل الأوراق التي يراد تبليغها من رئيس هذه المحكمة إلى رئيس المحكمة التي يطلب التبليغ في منطقتها.

إذا عين القانون للحضور أو لحصول الأجراء ميعادا مقدرا بالأيام أو الشهور أو السنين فلا يحسب منه يوم التفهيم أو التبليغ أو حدوث الأمر المعتبر في نظر القانون مجريا للميعاد. وينقضي الميعاد بانقضاء اليوم الأخير منه. إذا كان الميعاد مما يجب انقضاؤه قبل الأجراء لا يجوز حصول الأجراء إلا بعد انقضاء اليوم الأخير من الميعاد، وإذا كان الميعاد مقدرا بالساعات كان حساب الساعة التي تبدأ منها الساعة التي ينقضي بها على الوجه المتقدم. وإذا كان الميعاد معينا في القانون للحضور أو لمباشرة أجراء فيه زيد عليه سبعة أيام لمن كان موطنه ضمن القطر وخارج الصلاحية المحلية للمحكمة. يسري هذا لحكم على لبنان أيضاً.



ميعاد المسافة لمن يكون موطنهم في الخارج ستون يوماً. كما يجوز بأمر رئيس المحكمة تقصير هذا الميعاد تبعا لسهولة المواصلات وظروف الاستعجال. ولا يتم العمل بهذا الميعاد في حق من يتبلغ من هؤلاء في سورية بشخصه أثناء وجوده فيها أنما يجوز للمحكمة عند النظر في الدعوى أن تأمر بتمديد الميعاد العادي أو اعتباره ممتدا على أن لا يتجاوز في الحالتين الميعاد الذي كان يستحقه لو بلغ في موطنه بالخارج.

تجدر الإشارة إلى أنه بعد التطور الكبير الحاصل بوسائل الاتصال، أصبح لا بد من إدخال تطوير واسع بأساليب التبليغ القضائي، ومنها تفويض رئيس المحكمة - وحسب تقديره - بجواز التبليغ باليد أو بالبريد أو الموافقة على تسليم مذكرات الدعاوى والإخطار وسندات التبليغ وكتب وضع الإشارات ورفعها إلى الجهة طالبة التبليغ، على أن توضع ضمن مغلف مختوم وممهور يرسل أصولا في سجلات خاصة معدة لذلك ضمن كل ديوان أو محكمة، ما يكفل سرعة التبليغ لدى جميع المحاكم والدوائر القضائية.

وكذلك اعتماد وسائل التقنية الحديثة في التبليغ كالرسائل النصية عبر أجهزة الهاتف المحمول أو التبليغ الالكتروني، وتفعيل قانون التوقيع الالكتروني، وكذلك التبليغ بالبريد السريع العالمي في الحالات التي يكون فيها المطلوب تبليغه خارج القطر وله عنوان واضح، وتأمين مكاتب بريد مركزية وفرعية بالتعاون مع مؤسسة البريد لتسهيل عملية المراسلات والتبليغات، واعتماد طريقة "التبليغ المباشر" بمخاطبة قسم الشرطة أو الناحية المطلوب التبليغ فيها مباشرة، وإجازة التبليغ لصقا لكل من لم يحدد موطن مختار في دائرة المحكمة، وجعل الأحكام الصادرة في الدعاوى المدنية التي حضر فيها أحد الأطراف جلسة من الجلسات وجاهية ولا تحتاج إلى تبليغ «وهو ما يؤدي إلى اختصار الوقت»، وهذا كله يتطلب توحيد الاجتهاد حول أصول التبليغ للوكيل أو الموكل، وبشكل خاص عند دعوة أطراف الدعوى للاستجواب أو حلف اليمين وتعديل مهل المسافات المحددة في قانون أصول المحاكمات بعد التطور الكبير في وسائل الاتصال والنقل، وتفعيل أحكام المادة 94 من قانون أصول المحاكمات.

كما يجب ضبط "عمليات التبليغ" وتحديد المسؤوليات عن أي خلل أو خطأ يقع في هذا الإطار، وأهمها تطبيق مبدأ الثواب والعقاب، وقيام التفتيش القضائي باتخاذ الإجراءات اللازمة بحق من تثبت مسؤوليته عن حالات التأخير أو الإهمال في تبليغ المذكرات وتحريك الدعوى العامة من النيابة العامة إذا ما انطوى الفعل على جرم جزائي، والتأكيد على قيام القضاة بالإشراف الكامل على عمل المساعدين العدليين والدواوين والتأكد من تسطير مذكرات التبليغ - على اختلاف أنواعها - وإرسالها إلى دائرة المحضرين أو الجهة المختصة.

أمير سالم: الدولة البوليسية في مصر الثورة والثورة المضادة

■ ياسر مرزوق

الدولة البوليسية هي الدولة العاجزة عن تحقيق أبسط مبادئ الحرية وحقوق الإنسان، مما يزعزع العلاقة بين المواطن والدولة فتغيب الثقة ويحل محلها هاجس الخوف الذي يأتي عبر ممارسات وأفعال مختلفة بدءاً من التهديد والملاحقات القضائية وصولاً إلى الزج في السجون ضمن سلسلة من الأحكام القاسية.

وتعريف الدولة البوليسية كما ورد في كتب المصطلحات للعلوم السياسية هو «مصطلح يُعبِّر عن دولة تمارس فيها الحكومة القمع وتمنع أي معارضة وتسجنهم وتمنع حرية التعبير وتتحكم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ويبقى للبوليس صلاحيات كثيرة وكبيرة للسيطرة على المعارضين لسياسة الحكومة التي غالباً تبقى نظاماً شمولياً لا يسمح بوجود معارضة حقيقية».

والدولة التي لا تتعامل مع الشعب سوى عن طريق أجهزتها الأمنية لا تعلن أبداً عن أن الهدف من هذا الترويع والعنف هو البقاء في السلطة والحفاظ على مصالح جماعات متنفذة، بل تستخدم في ذلك سياسة لإرهاب المواطنين تتحدث عن الفوضى والبلطجة والجرائم التي سوف تعم البلاد لو لم تضرب بيد من حديد على كل مخالف. ذلك هو السبيل الوحيد لكي تنجح في إقناع قطاعات من المجتمع من أنه لا بديل عن تلك القبضة الحديدية للتحكم في الأمور «من أجل المصلحة الوطنية والأمن القومي». فالطبقات المتنفذة ومجموعاتها تسعى في كثير من الأحيان إلى الدعاية بأن «المجتمع في خطر» وأن الإرهابيين والمخربين هم السبب. فالترويع من مخاطر الإرهابيين والتضخيم من تأثيرها يساعد هؤلاء على صرف الانتباه عن الأسباب والمضمون الحقيقيين للأزمة الاقتصادية - الاجتماعية بل ويساعدها على تقوية جهازها القمعي، وعلى قمع جموع المطالبين سواء من يخرج في الشارع أو يغرد على شبكات التواصل الاجتماعي أو يعاقب بسبب دينه ومذهبه وعرقه.

كتابنا اليوم لأمير سالم المحامي والناشط السياسي المنحاز للشعب والذي حارب منذ شبابه المبكر الاستبداد الحكومي يستعرض فيه بشكل تاريخي كثيرا من التفاصيل وكثيرا من المواقف وكثيرا من القضايا والتحقيقات، يستعرض قهر الشعب المصري منذ محمد علي حتى ثورة 25 يناير، وهو يختار الأحداث والقضايا التي يرى أنها جديرة بالعرض والتحليل.

الكتاب يتناول بالرصد والتحليل الشامل كل التفاصيل المتاحة عن أسوأ أنواع أنماط الدولة البوليسية، تلك التي تخضع لنمط الحكم العسكري الفاشي، أو تخضع للفاشية الدينية، ففي ظل الفاشية العسكرية باسم الوطن والدفاع عن الوطن والسيادة الوطنية والتعبئة الوهمية تجاه عدو خارجي أو اختراق وهمي أجنبي للداخل، تقمع الحريات وتزهق الأرواح وتقتلع الرؤوس وتقصف الأقلام ويبقى العسكر هم عقل وجهاز وجسد الوطن فقط، بينما في الفاشية الدينية ونمط الحكم باسم الدين، فإنه تتم عملية قمع وإرهاب العقول وإطفاء جذوة الفكر، وأعمال العقل والتعبير، وخنق الحريات حماية للأخلاق ولأفكار وقيم غيبية حمايةً للدين المقدس، وباسم الله تتم مصادرة العقول وقد تستباح الأجساد والبشر حبسا وتقتيلا وتكفيرا ما دام أن الحاكم يحكم باسم الدين وباسم الله.

تناول سالم تعريف الدولة البوليسية والخلفية التاريخية لها في مصر، منذ تصارع النخب على السيادة زمن محمد علي مروراً بثورة عرابي وثورة سعد زغلول ثم ثورة العمال والطلبة، مروراً بالقوانين العرفية التي فرضتها بريطانيا لإحكام سياستها على مصر، في ظل ضعف وخضوع القصر، ثم ثورة عام 1952 والتي يقول سالم عنها: "مع مجيء ثورة 52 بدأنا ندخل إجراءات شديدة جدا من مراقبة التلغراف والبريد والسينما والمسرح، مشيرا إلى أن بنية "البوليس" تمت على عقيدة صارمة تعتمد على انتزاع الاعترافات بالتعذيب سواء كان ماديا أو معنويا.

وأضاف: حتى فكرة الاتحاد الاشتراكي ومنظمة الشباب، والتنظيم الداخلي له بني على حماية النظام السياسي، كما أن الإعلام المصري أيضا تم بناؤه على عقلية "جوبلز"، بحيث يكون الإعلام الموجه له دور في توجيه الحياة السياسية في البلاد وإحكام القبضة على المواطنين، وبذلك يتم ممارسة السيطرة من خلال الإعلام والتشريعات.

وأشار إلى أنه تحت دعوى تصفية الحياة السياسية الفاسدة، كان يتم إدخال المعارضة السجون، وكل من لم يتوافق مع وجهة نظر النظام ولم ينضم لمنظمة الشباب أو الاتحاد الاشتراكي.

وأوضح أن ترسانة التشريعات المقيدة للحريات والقرارات، وقانون التفويض للوزراء، جعلت الدولة المركزية عبر جهاز أمن الدولة، والتنظيم الطليعي، تتحكم في كل حجر في مصر من المركز إلى آخر نجع في مصر نتيجة أن الدولة هي المسؤولة عن التعيين في كل المناصب، مشيرا إلى أن التعيينات كانت تتم بعد صدور التقرير الأمني، لدرجة انه إذا اكتشف أن أحد أقرباء أحد أعضاء النيابة من المعارضين، يتم استبعاده، ورميه في مجاهل الجمهورية

ثم ينتقل للحديث عن ثورة 25 يناير منذ بداياتها وحتى الآن. تحت عناوين: الدولة البوليسية وأجهزتها ومؤسساتها من جيش وبوليس وأعلام وحزبها - التنظيم السري للثورة المضادة - أعلام الدولة البوليسية - التليفزيون المصري والثورة المضادة - فساد التليفزيون المصري - الهيئة العامة للاستعلامات وفسادها وأمن الدولة والدعاية للتوريث.

وفي باب الثورة والقضاء عليها، يرصد التحقيقات وشهادات عمر سليمان والمشير طنطاوي ويرصد تزوير 9 ملايين صوت في الانتخابات التشريعية بعد الثورة، ويرصد أحداث محمد محمود، وماسبيرو، ومجلس الوزراء، ومذبحة سجن القطا وقتل اللواء البطران.

يقول سالم "توليت الدفاع في قضية مقتل اللواء محمد البطران رئيس مباحث مصلحة السجون السابق، أثناء يوم الغضب في أعقاب الثورة، ومن هذا المنطلق تتبعت كيفية فتح السجون، وتهريب المساجين؟،



وبحثت في القضية، وتوصلت في النهاية أنها حدثت بناء على أوامر عليا بفتح السجون، وذلك بالاستناد إلى شهود عيان من داخل السجن، وهو ما يوضح أن اللواء البطران، قتله الضباط بأوامر عليا أيضا، ويتابع: عندما كنت في المحكمة خلال نظر القضية تم عرض أفلام توضح عملية القتل، ففوجئنا بأحد المتهمين في قضية أخرى وكان بقفص الاتهام، يقول: أنا كنت موجود جنب اللواء البطران أثناء القتل ونفوني بعدها في سجن بعيد.

وذكر سالم أن تعريف الدولة البوليسية هو دولة استبداد قد يكون الحكم فها للعسكر أو يكون حكم فردي وتسمى دولة مركزيه يعلوها فرد، أو حكم استبدادي ديني، والحكم الفردي يمارس فيه فكرة الشبكة العنكبوتية للسيطرة على كل الأطراف من خلال الحاكم فلا يسير شيء في البلاد إلا بموافقته، لدرجة انه يتم عرض عليه كل التفاصيل.

ولفت سالم أن عمله كمحامي جعله يتعامل مع مركز الشركات في فترة الثمانينات للحصول على تراخيص متأخرة لبعض المستثمرين بسبب الغباء البيروقراطي، وانه اكتشف أن الذي يجلس في مركز الشركات هو في الأساس كان عميد سابق بمباحث امن الدولة وحصل على دبلومه في الشركات، وبالتالي كانت عقلية المسؤول نابعة من عقيدته الأمنية التي تقوم على عمل تقرير أمني لمن يطلب الحصول على ترخيص لإقامة شركة، وهو ما تسبب في التأثير على وضع الاستثمار في مصر، حيث كان من الممكن أن يكون في مصر آلاف الشركات الاستثمارية، ولكن لا يوجد سوى 14 ألف شركة فقط. وفي ظل حماية الدولة البوليسية لبعض الشخصيات، استشرى الفساد والتزوير وسرقة المال العام، وكل من "طبل" للحزب الحاكم تمكنوا من العمل معه والاستفادة من الكعكة وظهر ما يسموا "بيزنقراط"، وهو أن يستثمر شخص لحساب مسؤولين بالدولة، وتسبب ذلك في حدوث انتفاخ لشريحة أصبحت الطبقة الجديدة الحاكمة.

وأشار إلى أن هؤلاء الأشخاص الذين يستخدمون كواجهة للمسئولين الذين يعملون في "البيزنس" في التسعينيات، لم يكن يعرفهم أحد، فيقولون عليهم "ده فلان بك ابن علان بك.. وهو أصلا عيلته حرامية"، لافتا إلى أن هذه الطبقات جاءت من أرضية مبنية على الانحطاط، وهي طبقات خواء، وافقت على أن تشرع للاستبداد مادامت مصالحها مؤمنه، من قبل الحاكم السياسي، كما يسمح لها أن تهرب ثرواتها للخارج في ظل حماية الأمن.

وتساءل سالم عن دور البنك المركزي وقت أن كان مسموح للمستثمرين الأجانب أن يستثمروا أموالهم في مصر، ويخرجون العائد من الأرباح للخارج، وكذلك رأس المال دون أي رسوم أو قيود، وقال "أريد أن اعرف البنك المركزي كان نائم لحساب مين؟، وكيف يكون للرئيس الحق في أن يكلم محافظ البنك ليقول له أعطي فلان 2 مليار قرض خلاف الأراضي، لأنه حبيبنا".

يختتم سالم بأن الدولة البوليسية يكون دائما همها الجوهري هو فرض السيطرة وفرض القبضة الأمنية بإحكام على المواطنين وحماية دولة الفساد، التي لا تعرف أن تعيش سوى مستنقع الفساد، وأن الثورة مليئة بكراهية الظلم والاستبداد، فلابد من الإصلاح الجذري وليس الترقيع وإلا ستستمر الثورة.

سامي الدروبي 1921 - 1978

■ ياسر مرزوق

وُلِدَ سامي الدروبي في حمص عام 1921 ودرس فيها المرحلتين الابتدائية والإعدادية، ثم أكمل دراسته في " تجهيز دمشق، القسم الثانوي للبكالوريا ". عيّن بعدها معلماً في قرية من قرى الجولان. انتسب بعد ذلك إلى دار المعلمين العليا مدة عامين، وعيّن معلماً في محافظة حمص. أسهم في الأنشطة الاجتماعية، وانضم إلى المجموعة التي قامت بواجبها عندما انتشر وباء الملاريا في حمص.

أوفد سامي الدروبي إلى مصر عام 1943، ودرس الفلسفة، وتخرج في جامعة القاهرة، وعاد إلى سورية عام 1947 وعيّن مدرساً للفلسفة. وفي عام 1949 نقل الدروبي وعيّن في وظيفة معيد في كلية التربية في الجامعة السورية. أوفد بعدها إلى باريس للحصول على الدكتوراه وصار في عام 1952 من أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة دمشق. واشترك مع زميل له بترجمة الكتب، وتمكن من ترجمة كتابين، أحدهما عنوانه «ما بين التربية وعلم النفس»، والآخر عنوانه: «الفلسفات الكبرى». ولكنهما لم يستطيعا نشرهما لغلاء الورق في ذلك الحين "أي أيام الحرب العالمية الثانية 1939 - 1945". غير أن حكمت هاشم الأستاذ في كلية التربية قد قام بترجمة كتاب «الفلسفات الكبرى» ونشره.

عام 1954 تزوج الدروبي بالآنسة إحسان بيات، والتي كتب بمناسبة خطوبتهما الأبيات التالية:

لا تخافي سراً يلوح بعيني
رهيباً يفوح كالأفعوانِ
لا تخافي الغموض فوق جبيني
لا تخافي ابتسامة الكتمانِ
هو ماض خلفته فحذاري
أن تفضيً أسراره للعيانِ
كنت لا أنشد الحياة وجودي
وانعدامي عن أفقها سيانِ
غير أني أحسست دفئاً بعينـ
ـيك يصب الحياة في أكفاني
فتمنيت أن أعود لنفسي
وتكوني لعودتي رباني»

وقد رُزِقا من زواجهما ليلى ومصباح وسلمى.

عيّن في عام 1960 مستشاراً ثقافياً في البرازيل. ثم عاد بعد أشهر إلى دمشق بوصفه أستاذاً في كلية التربية في جامعة دمشق، من جديد ليركز على الترجمة، والغريب في حالة الدروبي أنه قدم لنا ترجماته الروسية عبر لغة أخرى هي اللغة الفرنسية.. ورغم هذه الحقيقة إلا أن ما قدمه يستحق التقدير والدهشة.. فالترجمة العربية التي قدمها، بشهادة الكثيرين، لا تقل جودة عن النص الروسي الأصلي، مما جعلها الأكثر رواجاً عند القراء العرب في مختلف أقطارهم..

عرف سامي الدروبي مترجماً هاماً على صعيد الوطن العربي حيث أدرك أهمية الموهبة والمعرفة عند المترجم الأديب، وقد قال ذات مرة في إحدى حواراته «أعتقد أنني لا أضيف جديداً إذا قلت إن الشروط التي يجب أن تتوافر فيمن يتصدى لترجمة الأعمال الأدبية هي كما تحصى عادة وكما يعددها سائر الباحثين في هذا الأمر ثلاثة: أولا التمكن من اللغة الأجنبية.. وثانياً التمكن من اللغة العربية.. وثالثا التمكن من المادة التي هي موضوع الكتاب أو البحث المترجم.. أما بالنسبة للأدب هي توفر الذوق الأدبي وهذه موهبة تصقل، ولكنها لا تعلم فمن لم يكن ذا موهبة لن يحقق بموهبة، ولا يمكن أن يعلم كيف يتذوق الأدب».

وكان يرى أنه من أجل ترجمة الأدب فلا بدّ من توفر الذوق الأدبي، وهذه موهبة، برأيه، تُصقَل ولكنها لا تُتعلم "فمن لم يكن ذا موهبة لن يُحقّق بموهبة، ولا يمكن أن يعلم كيف يتذوق الأدب. والتمكن من المادة هنا هو هذه الموهبة، هذا الذوق الأدبي". والترجمات الرديئة، من وجهة نظره، هي التي تقوم بإفساد اللغة العربية، والهبوط بها إلى الركاكة، في الحين أن الشباب متعطش إلى قراءة الإنتاج الأجنبي الدسم. كما أنها تقوم، أيضاً، بإفساد المؤلفات المترجمة.. ولهذا كان يدعو إلى أن يكون المترجمون من أصحاب الأقلام، أي أن يكونوا أدباء جيدين لكي يستطيعوا أن يكونوا مترجمين جيدين..

ويرى أنّ التمكن من اللغة العربية يعني ضرورة قراءة "الجاحظ" و"المتنبي" و"المعري" وعمالقة الأدب العربي، ولا يتم التمكن من اللغة الأجنبية إلا بقراءة أدباء تلك اللغة.

من عطاءاته الجميلة أنه في العام 1971 قرر تقديم مكتبته إلى الجامعة السورية وفي 10 / 5 / 1971 وافق مجلس جامعة دمشق على قبول هديته إلى الجامعة. وكانت حجة سامي الدروبي على قراره حين احتجت زوجته على قراره بأحقية أولاده في هذه المكتبة، قال حينذاك « لن أنسى ما حييت كم كنت أشقى حين كنت طالباً جامعياً وكنت أرغب باقتناء المراجع، وكان ثمنها باهظاً ودخلي محدود.. »

مؤلفاته:

1 - علم النفس والأدب - دار المعارف - "القاهرة" 1972.
2 - علم الطباع - المدرسة الفرنسية - "القاهرة" 1961.
3 - علم النفس ونتائجه التربوية - دراسة بالاشتراك مع "حافظ الجمالي" - "دمشق".
4 - مسائل فلسفة الفن المعاصر "لجوي" و، ترجمة - "القاهرة" 1948.
5 - الأخلاق بلا إلزام ولا جزاء "لجويو"، ترجمة - "القاهرة" د. ت.
6 - الضحك "لبرغسون"، ترجمة مع "د. عبد اللّه عبد الدائم" ط1 - "القاهرة"، 1948 ودار اليقظة، "دمشق" 1968 (ط 3 عام 1985).
7 - منبعا الأخلاق والدين لبرغسون، ترجمة مع د. عبد اللّه عبد الدائم، القاهرة 1945 (ط2 عام 1984).
8 - الطاقة الروحية "لبرغسون" - ترجمة - "دمشق" 1945 - ط21964.
9 - ثلاثية "محمد ديب" "الدار الكبيرة - الحريق - النول" - ترجمة - وزارة الثقافة - "دمشق". وط 2 بيروت 1968.
10 - الرواية في الأدب الروسي، دراسة، دار الكرمل، "دمشق" 1982.
11 - الأعمال الكاملة "لدوستويفسكي" - ترجمة - "القاهرة".
12 - الأعمال الكاملة "لتولستوي"، ترجمة، وزارة الثقافة، "دمشق" 1974 - 1984 (تابع الترجمة: صياح الجهيم).
13 - الموجز في علم النفس، مع "د. عبد اللّه عبد الدائم"، دراسة - وزارة المعارف - "دمشق" 1956.
14 - المدارس الاجتماعية المعاصرة "لسو روكين" - ترجمة مع "أديب اللجمي" 1959.
15 - كونكاس بوريا - ترجمة - وزارة الثقافة - دمشق 1963.
16 - ابنة الضابط - ترجمة - "دمشق" 1953.
17 - نيتوشكا - ترجمة - "دمشق".
18 - المجمل في فلسفة الفن - "بندتو كروتشه" - ترجمة - "القاهرة" 1947.
19 - معذبو الأرض - "فرانز فانون" - ترجمة مع "د. جمال الأتاسي" - "بيروت" 1966.
20 - وقائع مدينة ترافنك - ترجمة - "دمشق" 1964.
21 - في الفكر السياسي - دراسة بالاشتراك.
22 - مذلون مهانون - "دوستويفسكي" - ترجمة - "دمشق".
23 - المذهب المادي والثورة - "جان بول سارتر" - ترجمة مع "د. جمال الأتاسي" - "دمشق" 1960.
24 - نقد الدين والفلسفة - ترجمة - "دمشق".
25 - علم النفس التجريبي - ترجمة - "دمشق" 1956.
26 - لحن كرويتزر - " لتولستوي" - ترجمة - "دمشق".



27 - العالم الذي يولد - ترجمة - "دمشق" - دار الرواد.
28 - الثورة العالمية، مسؤولية الفكر.
29 - الزوج الأبدي - ترجمة - "دمشق" 1959.
30 - جسر على الدانوب - ترجمة - "القاهرة".
31 - القضية - مسرحية - ترجمة 1960.
32 - ذكريات من منزل الموتى - ترجمة - "دمشق".
33 - بطل من زماننا - "ليرمنتوف" - ترجمة - "القاهرة" 1969.
34 - الفكر والواقع المتحرك - "برغسون" - ترجمة - "دمشق" 1972.
35 - سيكولوجية المرأة - ترجمة.

لقد أنجز سامي الدروبي ترجمة مؤلفات دوستويفسكي الكاملة ويربو عدد صفحاتها على أحد عشر ألف صفحة، وهو مريض في القلب مرضاً لا يمكنه من أن يستلقي على سريره أثناء النوم، وكان لابد له من أن يبقى جالساً وهو نائم. بل أكثر من ذلك، فإنه أنجز خمسة مجلدات من المؤلفات الكاملة لتولستوي، والتي يصل عدد صفحاتها إلى خمسة آلاف صفحة وهو في صراع بين الحياة والموت، وكثيراً ما احتاج خلالها إلى أن يرقد لمدة ثلاثين ساعة وهو يتنفس من أنبوبة الأكسجين، كما ذكر الأستاذ فوزي الكيالي وزير الثقافة آنذاك.

كتب رجاء النقاش يقول: «سامي الدروبي كان مؤمناً بالوحدة العربية إيماناً شديد العمق والصدق، وكانت الوحدة العربية هي الأمل الأكبر في خلق حضارة عربية لها قيمة، وفي خلق إنسان عربي جديد قادر على مواجهة ظروف العصر وتحدياته الصعبة. وفي نفس الوقت كان إيمان سامي الدروبي بمصر وحبه لها نابعاً من نفس النبع الصافي، نبع إيمانه بالوحدة العربية. فقد كان مدركاً أشد الإدراك أنه لا وحدة بدون مصر، وأن مصر هي الأساس في أي حركة لها قيمة في الوطن العربي كله، كان مدركاً أنه لا عروبة بدون مصر».

وعن أسلوبه في الترجمة يقول د. وهيب الغانم: «الجمال والوضوح هما صفتان تلازمان جو كتاباته، فيشعر القارئ بالعذوبة تلف إنتاجه، عذوبة الأسلوب، عذوبة الجملة، عذوبة الكلمة. وبما أن مؤلفاته كانت نادرة، إلا أنه من خلال ما ترجم، تكشّف عن أديب موهوب، أصيل».

حاز سامي الدروبي كبرى الجوائز التي نالها أي كاتب أو مترجم عربي. إذ حصل على وسام الاستحقاق السوري من الرئيس حافظ الأسد عام 1970، وكذلك مُنح جائزة اللوتوس للترجمة في مؤتمر اتحاد الكتاب الآسيويين والإفريقيين، الذي عقد في طشقند عام 1978 وأطلق اسمهُ على مدرسة ثانوية في شارع هنانو في دمشق، وسمّيت غرفة باسمه في المركز الثقافي عام 1978 نظراً لقيمة أعماله الأدبية الكبيرة. وأطلق اسمه كذلك على أحد مدرجات كلية التربية في جامعة دمشق.

وحين وافته المنية، شيّع تشييعاً رسمياً وشعبياً، شاركت فيه السلطات المحلية وعدد كبير من رفاقه وطلابه وقارئوه، في موكب رافقه من بيته إلى مقبرة باب الصغير.

المخيّمات أصل الحكايات

■ إياد حياتلة

المخيّم أبونا وإمّنا.

المخيّم هو مبارح واليوم وبكرا.

المخيّم هو الولد اللّي انولد بمخيّم حمص قبل إثنين وخمسين سنة وانتقل لمخيّم اليرموك لمّا كان عمرو ست سنين.

المخيّم هو أبوي اللّي كان يدرّس بالسعودية وتقلّع من هناك لأنّو قعد يحكي للطلاب عن فلسطين، ولمّا قرّر ينقل من حمص عالشام كان بيقدر يشتري بيت بأحسن منطقة، بس جدّي أبو هويّن قال له: لأ أنا بسكنش غير بالمخيّم.

المخيّم هو الشاعر يوسف الخطيب لمّا إجا عند جدّي الضرير بالثمانية وستّين وأهداه ديوان الوطن المحتل، هو الولد إبن الصف الثاني الإبتدائي لمّا كنت أقرأ لجدّي قصائد محمود درويش وتوفيق زيّاد وراشد حسين من الديوان، وجدّي يقول لي: برررراو.

المخيّم هو مضافة جدّي بمخيّم العائدين واللي انتقلت معو عاليرموك، دلال القهوة المرّة والمهباش اللّي هدونا اياهن قرايبنا من حيتل الجولان، لمّة الجيران والقرايب بالسهرة ولفّ الدخان العربي، قصص وحكايا البلاد وإذاعة لندن والشعر والعتابا.

المخيّم هو الولد الصغير اللّي ضلّ ينام جنب ستّو عالجاعد لحد ما صار بالبكالوريا.

المخيِّم هو ستّي إم هويّن اللي كبرت وخرفنت وصارت تحطّ أواعيها بالبقجة وتقعد عباب الدار وتستنّى الرجعة عالشجرة.

المخيّم هو لمّا كنّا نعمل عصابات بالمدرسة ونتحلّف لبعض بالحلّة، وبس نروّح نصير اصحاب واحباب.

المخيّم هو معسكر الأشبال اللي عملتو فتح محل المدينة الرياضية وكنّا نروح نتدرّب فيه عالكلاشن بعد المدرسة، بعدين معسكرات حمّورية والهامة وبيت نايم والهريبة علبنان.

المخيّم هو لمّا يكون عمرك إطنعشر سنة ويوم تروح تسبح بالعصرونيّة، ويوم بالمشرع، ويوم بقناية ترانس، وإذا صار معك ليرة تسلق بيضتين بالبيت وتوخذ زر بندورة وخيارتين وتروح مع اولاد الحارة بالباص عالمسبح الأولمبي بكفر سوسة وتفوت بتلات ترباع الليرة.

المخيّم هو لمّا يكون عمرك خمسطعشر سنة وتروح مسير مشي مع الكشاف على نبع بردى، أنت وست رفقات بس وأكبر واحد فيكو بالبكالوريا، وطول الطريق تغنّي: عبّينا المدفع عبّينا يا فلسطين، وحياة تراب أراضينا راجعين راجعين.

المخيّم هو لمّا تنجح بالكفاءة وتيجي جارتكو إمّ محمود تباركلك وتجيب لك هديّة جوز كلاسين، ولمّا تنجح بالبكالوريا ترجع هي نفسها تباركلك وتجيبلك كمان جوز كلاسين.

المخيّم هو لمّا تمرض وتروح من الخمسة الصبح عشان تقطع نمرة باللوثري، ولمّا ما يوصلك الدور تروح عالخامس، وإذا ما لدّقت ترجع على صيدليّة العودة اللي كانت جنب حلويات باكير نواحي الساحة وتقول للصيدلي بطني عم يوجعني، يعطيك حبتين دوا والمسا تكون رجعت مثل الحصان.

المخيّم هو لمّا تكون بالصف الثامن بمدرسة المالكيّة وأنت ورايح تشتري أسكاية علبن من عند أبو صابر، وأنت وراجع تشتري سيكارة غرناطة فرط من عند أبو دياب، وتقول له ولّعلي اياها زكاتك.

المخيّم هو لمّا تشتري بزر دوّار الشمس من محمصة جاديبا وتفوت تحضر فيلم الفلسطيني الثائر يوم العيد بسينما النجوم، وبس تطلع توكل صحن فول من عرباية أبو أحمد أو تشرب كاسة عصير من عند الشيخ.

المخيّم هو لمّا تجوع الساعة وحدة بالليل وتروح تشتري جبنة ولبنة وزتون من عند أبو رزق.

المخيّم هو لمّا تحضر جنازات الشهدا وائل زعيتر وأبو جاسر الكفري وأبو الوليد وأبو جهاد وفتحي الشقاقي.

المخيّم هو لمّا نايف حواتمه يقعد يحكي عالبرنامج المرحلي بتربة الشهدا القديمة، وتقوم مرة ختيارة لا بتقرا ولا بتكتب تناولو بالحفّاية على راسو.

المخيّم هو لمّا تروح تحضر محمود درويش بصالة تشرين بالتسعة وسبعين وتلاقي السوريين أكثر من الفلسطينيين، أو لمّا تحضر أمسية لسميح شقير بالنادي وبعدين تروحوا تكمّلوا السهرة ببيت ماجد عبد الهادي بالتضامن مع سميح وحسّان عزّت، أو تحضر ممدوح عدوان بنادي غسّان كنفاني، أو لمّا يروح المخيّم كلّو يحضر الشيخ إمام بصالة تشرين بالخمسة وثمانين، أو فرقة العاشقين ببصرى.

المخيّم هو لمّا دار عمتك ينقلوا من ركن الدين عليه، بعدين يقرفوا منّو ويهجّو على بيت سيّاح نيّاح بالمزّة، وبعد ست أشهر يرجعوا عليه مثل الشاطرين لأنّو ما عرفوا يعيشو برّا، هو لمّا الأستاذ أبو أحمد يتركو ويروح على بيتو الجديد بمشروع دمّر، وبعد فترة صغيرة يردّ يرجع لأنّو ما قدر على فراقو.

المخيّم هو لمّا تقرّر تتركو وتهاجر وإنت زعلان من الكل ومتخانق مع الكلّ وتحلف ما عاد ترجعلو بحياتك وأوّل ليلة بالغربة تصير تبكي وتنوح.

المخيّم هو لمّا أبوك ما يقبل يودّعك لأنّو مش رضيان عن سفرتك ويفوت ويسكّر الباب على حالو وإنت قاعد برّا عم تسمع صوت بكاه واصل للسما.

المخيّم هو لمّا يصير معك جواز أجنبي وبتقدر تلفّ العالم فيه وما تسافر إلّا عالشام والمخيّم.

المخيّم هو لمّا يجيك ولد بآخر معمّرات اللّه وتؤذّن بإذنه وإنت عم تبكي والممرضة الأجنبيّة تتطّع فيك مثل الهبلة، ولمّا ترجع عالبيت تتصل بأبوك الساعة أربعة الصبح عشان تخبّرو وما حدا يرد مع إنّو وقت صلاة الصبح بالشام، تتصّل بعدين وتعرف إنّو أبوك صابته جلطة بسبب سقوط بغداد وأخذوه عالمستشفى.

المخيّم هو لمّا يموتوا أبوك وأخوك وأنت بالغربة وما تقدر تنزل عشان تحضر الجنازة، وتقعد مثل الحزين تبكي لحالك وفش حدا ييجي يعزّيك.

المخيّم هو لمّا تنزل عالشام بعد غيبة عشر سنين وتوصل بالليل وأوّل إشي تعمله تفوت على أوضة أبوك وتقعد تبكي فوق تختو، بعدين تروح تصلّي الصبح بالجامع ويهجموا عليك الجيران تسليم ومباوسة، بعدين تروح لحالك عالتربة وما تعرف تلاقي القبر، بييجي شب ما بتعرفو وبيتطلّع فيك وبيسألك: باللّه مش أنت من بيت حياتله أخوه لأبو أنس؟ تعال معي لأدلّك، هون قبر أبوك، وهون قبر أخوك أبو هادي، وهون قبر عمّك أبو فوّز، وهون قبر عمتك إم فواز وفوّاز ومهنّد مع بعض.

المخيّم هو لمّا ترجع بأوّل زيارة وتقول لك إمّك: يمّا شو جاي على بالك توكل عشان نجيب لك من المطبخ الملكي؟ تقوم إنت تتطلّع فيها مثل الولد الصغير وتقول يمّا بدّيش إشي لا من المطبخ الملكي ولا من غيرو، جاي عبالي مقالي من تحت ديّاتك، عجّة ومجدّرة وخبّيزة وعِلت وعكّوب وفوارغ.

المخيّم هو لمّا توخذ إبنك اللّي انولد برّا أوّل مرّة عليه وما يكون يعرف يحكي عربي منيح، ويقعد طول الليل يتصفّن بولاد عمّو وهنّي يتصفّنوا فيه مش فهمانين على بعض، ويضحكوا عليه لمّا يناديلك داد وينادي إمّو مام، وبعد يومين تتفاجأ فيه عم بيقولك: يابا بدّك أنزل أجيب لك درّاق من عند أبو خليل بالسوق، وللّا بدّك أجيب لك عنب من عند أبو عامر، أو خيار وبندورة من عند عثمان، أو بطّيخة من عند عمّي أمجد، أو تسمعو عم بيقول لإمّو يمّا أروح أشتريلك لبن من عند أبو شهاب، أو أروح أجيب تلاتة جبنة وتنتين زعتر من عند سيد راسي!!.

المخيّم هو لمّا يقعدوا ولاد إخوتك ينطوطوا حواليك وإنت جاي من السفر وعامل أركيلة وعم تتخوّت عليهن وتصوّرهن بالآيفون، بعدين تصير تسحب الصور بإيدك، فيقولك حمّودة إبن الأربع سنين: عمّي خلّيني أساوي هيك، واللّه إيديّ نضاف، هلأغسّلت، ويردّ عليه حمزة: لأ عمّي ما تخلّيه، أنا شفتو ما غسّل إيديه.

المخيّم هو لمّا تروح تزور رفقات أبوك الختياريّة ويفرحوا فيك وبجيّتك، ولمّا تلاقي جاركو اللي مش شايفو من خمسو وعشرين سنة وتسلّم عليه بالشارع، يتطلّع فيك ويقول لك: بسم اللّه الرحمن الرحيم، مين؟ أبو أيمن؟ تقول له أنا إياد إبن أبو أيمن، يردّ عليك: اللّه أكبر أدّيش صاير تشبه أبوك يا إياد!!.

المخيّم هو لمّا تحب وتخطب وتتجوّز وتعمل عرسك عالسطح وييجي الحج محمود الحسواني الحمصي يغنّي بعرسك عتابا عن فلسطين، والمعازيم وغير المعازيم تدبك وتنبسط، بعدين واحد فرحان فيك يطول هالكلاشن ويبلّش يطخطخ بالسما، ولمّا تيجي الشرطة تقوم أنت العريس تهرب من العرس!!.

المخيّم هو لمّا أخوك الصغير يعمل عرسو بفندق أميّة، وتكون عروستو لابسة الثوب الفلسطيني، وفرقة القرب وكل أمم اللّه عم تدبك عالرباعيّة بنص الفندق.

المخيّم هو لمّا يسافر صاحبك عبد الحكيم على أمريكا، وتلاقيه بعد ثلاثين سنة عالفيس بوك، وتحكوا سكايب ساعتين مع بعض تضحكوا وتبكوا وتتذكروا الأيام الخوالي، ويقول لك مشتاقلك ولازم تيجي تزورني هون، وبعد جمعتين يموت!!.

المخيّم هو صوت أبو سعيد الحطّيني والحسون وأبو عرب وريم

كيلاني وريم بنّا وميس شلش ولاجئين الراب وكل واحد عم يعمل إشي ليحكي حكايتنا.

المخيّم هو الأركيلة اللي اشتريتها من شارع اليرموك واللي شغّالة هلأ عندي بغلاسكو جنب المنقل اللي جبتو معي من باب الجابية.

المخيّم هو إمّي اللي كنت أبوس إيديها بالعيد وغير العيد، واللي لجأت أول مرّة بالثمانية وأربعين وتاني مرّة بالألفين واطنعش، إمّي اللي ما بسترجي أتصّل فيها بالتلفون لأنّي ببطل أعرف أحكي من البكا.

المخيّم هو مرتي حبيبتي الفلسطينية السورية الأصيلة اللي تحمّلت معي الغربة والشنشطة بليبيا واليمن، واللي صابرة هلأ معي عالعيشة المكربة ببلاد البرد والثلج.

المخيّم هو ولادي اللي عم يدرسوا ويجتهدوا عشانو وعشان فلسطين، هو إبني عاطف اللي دبح حالو من البكا يوم أخذتو أعلمه السباحة بمسبح المجد، واللي هلأ بيسبح هون بالبحيرات الباردة وبيجيب ميداليات وكؤوس، واللي سبح قبل أكم سنة ببحيرة نس الأسطورية وهو لابس بدلة سباحة عليها خريطة فلسطين، هو إبني ماهر اللي قعد يبكي وإحنا عم بنودع عمّاتو وأعمامو ويقول: يعني ضروري نسافر؟، هو إبني فارس اللي انولد هون وراح بس مرتين عليه وصار يعرف نص حاراتو.

المخيّم هو إبن عمّي اللي انقنص، وأخوك اللي استشهد تحت القصف، وإمّك اللي تهجّرت، وبيتنا اللي اللّه أعلم شو مصيرو بهالميمعة.

المخيّم هو شباب الإغاثة والمدارس البديلة، وضحكة الزغار تحت الحصار.

المخيّم هو أبو جوليا وخالد وحسام والدكتور علاء والدكتور هايل وغيرهم كثير ناطرين الشمس لتطلع.

المخيّم هو غسان الشهابي وعلاء السهلي وأبو جابر وبسام ومنير وأبو مالك وكثار غيرهم كمان سبقونا بالشهادة.

المخيّم هو إمّيات الشهدا والأسرى والمعتقلين والجرحى، هو ولاد الشهيدات وبناتهن وأبّياتهن كمان.

المخيّم هو لمّا يكون عمري إثنين وخمسين سنة وبحسّ حالي أصغر من كل الصبايا والشباب اللي صامدين فيه، واللي طلعوا منّو كمان.

المخيّم هو كل الفلسطينيين السوريين والسوريين الفلسطينيين، أهلنا وإخواتنا وحبايبنا عالحلوة والمرّة.

المخيّم هو مخيّم اليرموك نيوز، ومخيّم العائدين نيوز، ومخيّم درعا نيوز، والرمل وخان الشيح والنيرب وكل المخيّمات نيوز، وكل الصفحات المخيّمجيّة اللي بنضل طول النهار والليل فاتحين عليها لنعرف شو أخبارنا.

المخيّم هو العالم المجهولة اللي عم تشتغل عالسكت ومش ناطرة شكر من حدا.

المخيّم هو عبد اللّه اللي اخترع هالقصّة كلها وخلى العالم تفضفض وتحكي.

المخيّم هو أصل الحكاية، وخاتمتها لمّا بنرجع على فلسطين.

الأمثال والمقولات الشعبية تعكس ثقافة اجتماعية واعية في النظم الديموقراطية وثقافة انهزامية في النظم الدكتاتورية

■ زليخة سالم

الأمثال الشعبية والمقولات الدارجة هي تعبيرا عن حالة وواقع معاش وتعكس ثقافة اجتماعية وأسلوب حياة وفلسفة وحكمة شعب وتوجه مجتمع ما وهي تعمم وترسخ انطلاقا من وقائع أو حوادث أو مفاهيم أو نتيجة تجربة أو خبرة تكرّست حتى أصبحت ما يشبه العرف بين العامة ورغم قدمها التاريخي وتراكمها عبر السنين إلا أننا نرى أن لبعضها موسم تزدهر فيه وتتعمق حسب البيئة السياسية والاجتماعية والثقافية حتى تبدو وكأنها حقيقة أو مسلمة في حياتهم.

ومع وجود الكثير من الأمثال الشعبية التي تعبر عن الأصالة والمروءة والشهامة والرحمة وإغاثة الملهوف والكرم والجود والحكمة والعقل والطموح والعلم وغيرها نجد بالمقابل الكثير من الأمثال السلبية التي تحض على الاستكانة والخنوع وتحييد النفس والقبول بأشكال الظلم والتنازل عن الحقوق بسبب الخوف.

ففي النظم الدكتاتورية الشمولية والإقصائية والقمعية ترسخ الأمثال الشعبية السلبية التي تكرس هذه الحالة لتتوارى الأمثال الشعبيّة الأصيلة عن الجو العام لأن شيئا في حياة الناس لا يشبهها ولذلك نرى أن أكثر ما كان يتداول منها خلال السنوات الخمسين الماضية في سورية

اللي بيتطلع لفوق بتنكسر رقبته

اللي بيتجوز أمي بصير عمي

أمشي الحيط الحيط وقول يارب السترة

بعيد عن الشر وغنيله

الحيطان لها آذان

الباب اللي بيجيك منه الريح سده واستريح

حط راسك بين هالروس ونادي ياقطاع الروس

الهريبة ثلثين المراجل

معك قرش بتسوى قرش

حادت عن راسي بسيطة

الإيد اللي ما فيك تعضها بوسها وادعي عليها بالكسر

أيد وحدة ما تصفق

كلب الشيخ شيخ

إذا سلمت من الأسد فلا تطمع في صيده

أمثال رسخت حالة الاستكانة والخنوع والخوف من المطالبة بأبسط الحقوق الإنسانية خلال نصف قرن وبات الأب يكررها أمام أبنائه ليلاً ونهارا حماية لهم من بطش النظام وخوفا على نفسه وعائلته ما أنتج جيلاً استمرأ العبودية والذل والانتهازية وتمسيح الجوخ مهما أستغل وحرم من حقوقه بإستثناء بعض الحالات الفردية من الأشخاص الذين رفعوا صوتهم للتحذير من الاستمرار في هكذا وضع وأعربوا عن معارضتهم لسياسة النظام الاستبدادية وكانت النتيجة الاعتقال والتعذيب والقتل في السجون والأقبية والزنازين ما زاد حالة الخوف لدى العامة حتى كان البعض يرددون (بيستاهل وهل سيصلح البلد) ويتهمونه بالخيانة والعمالة للخارج مرددين الاتهامات الجاهزة للنظام لأي معارض جاهر برفضه لسياسته.

وإذا فندنا هذه الأمثال وهي جزء من الكثير نجد فيها الدعوة المتكررة إلى القبول بالواقع مهما كان أليما ومهينا والتخويف والتحذير من الطموح وقتله وشل التفكير عن أي تغيير أو رؤية تحسين والرضوخ لأي إجراء تتخذه السلطة مهما كان جائرا حتى لو كان فيه سلب للحقوق وإعطاء الامتيازات لمن لا يستحقها إن كان في الشأن الشخصي أو في الوضع العام.

كما تحض على تحييد النفس عن أي شأن عام والنأي بالنفس والاكتفاء بما تيسر من الطعام واللباس لتأمين المعيشة اليومية فقط والابتعاد عن كل ما يخص الآخرين حتى لو كان أخ أو جار أو صديق والتقوقع داخل البيت خوفا من أي شبهة أو إشارة استفهام تدور حولها بعد أن حول النظام أبناء الشعب إلى مخبرين على بعضهم البعض ووصل الأمر بالكثيرين إلى أن يكتبوا تقارير أمنية بذويهم وأقرب المقربين لهم للحصول على بعض الامتيازات أو لإظهار الولاء الكامل تجنباً للأذى على مبدأ اللهم نفسي.

وكما في كل الأنظمة الاستبدادية سادت لدينا آليات تعامل خاطئة حيث يتم التعامل مع حاشية المسؤول من سكرتير أو سائق أوحاجب بخوف جعل منهم أصحاب نفوذ أحيانا أكثر من المسؤول نفسه يتقرب الناس منهم ويطلبون رضاهم حتى وصلت الأمور في بعض المؤسسات بالمدراء ورؤساء الدوائر أن يتزلفوا للسائق أو الحاجب لكي يضمنوا رضى المسؤول عنهم وخاصة إذا كان من أصحاب الحظوة ومنها مثال صارخ في وزارة الخارجية التي يتحكم فيها عدد من الجهلة والأميين الذين ترقوا من سائق أو حاجب إلى ملحق إداري أو قنصل وبدلا من أن تكون وزارة الدبلوماسية أصبحت وزارة تجار الأسلحة والمخدرات وتزوير العملة وينخر الفساد في جميع مفاصلها ككل مؤسسات الدولة.

الاستسلام هي الصبغة الأكبر على أمثلتنا الدارجة هذه الأيام لأنها غالبا ما تكون نتاج سياسات فاعلة على الأرض تحول الباطل إلى حق والحق إلى باطل والمفاهيم التي كانت بالأمس القريب منبوذة ومستغربة تصبح عادية ومألوفة ومنتشرة بين الناس كما حدث مع تشكل طبقة من الأثرياء حديثي النعمة من الفاسدين والحرامية فأصبحوا مثالا للشطارة وتدبير الحال حسب المفهوم العامي وتراجع مفهوم أن هؤلاء نصابين وحرامية ومختلسين ومرتشين وراشين وكذابين.

لقد أثبت البوعزيزي أن فرداً يمكن أن يغير شعب بأكمله إذا ما كسر حاجز الخوف داخله.

كتب أحد الأصدقاء على صفحته في الفيس بوك عبارة أعجبتني سأنقلها عنه بدون استئذان يطلب فيها السماح من أولادنا وشبابنا لأنهم يدفعون حياتهم اليوم ثمنا لصمتنا بالأمس.. وهذه حقيقة أولادنا يدفعون ثمن تخاذلنا وخوفنا وصمتنا على استبداد النظام وانتهاكه لجميع حقوقنا وحياتنا ، صمتنا على إجرامه بحق سوريتنا التي باعها أجزاء ونهب خيراتها وفقر أهلها وحولهم إلى عبيد لاهثين وراء لقمة العيش يسبحون باسمه ويحمدون عطاياه الوهمية.

الثورة السورية العظيمة ستعيد المفاهيم والقيم الأصيلة إلى حياة الناس وفي سوريتنا الحرة ستلغى الأمثال السلبية وتستعيد الأمثال الشعبية الأصيلة مجدها إضافة إلى الأمثال المستمدة من تضحيات وبطولات شعبنا العظيم في سوريتنا الحرة والتي سنعلمها لأطفالنا وللأجيال القادمة وأهمها (الموت ولا المذلة).

خانــات دمشــق (1)

■ بلال سلامة

تعـود لفظـة الخـان إلـى أصـل فارسـي الأصل، أطلق على مكان مبيت المسـافرين، والخانـات نوعـان: (الخـان البراني) أقيـم على طرق السـفر خارج المدن علـى منابع المياه ومجاري الأنهار، ويبتعـد الواحـد عـن الآخر مسـيرة نهار (مـا يقـارب الثلاثيـن كيلومتـراً)، وكان الخان يقـدّم الخدمات للتّجار والرّحالة والمسـافرين كافـة. أمّـا النّـوع الثاني مـن الخانـات فهو (خـان المدينـة) كانت وظيفـة الخـان فـي المدينـة اسـتقبال التجـار بشـكل عام، مـن باعـة الجُملة ومروّجـي البضّائـع. وفـي هـذا المكان كان يتـمّ البيع والشّـراء، ثم صار الخان منزلا طويل الأجل لاستقبال المُسافرين ريثما ينتهون من بيع بضاعتهم ويتمّون تجارتهـم. فكمـا كان لكل بضاعـة دار، صـار لها خان يرتبط اسـمه بهـا فهنالك مثلاً: خـان للحرير وخـان للحبالين وخان للزيـت وخان للـرز وخان للصـوف وخان للقطن وخـان للجلـود وخـان للزعفران وخان للقيشـاني وخـان للتوتـون وخان للصنوبر وخان للجوخ والخياطين وخان للنحـاس وخـان للصابون وخـان للورق. كما أن بعض الخانات ارتبط اسمها باسم مؤسّسـها أو مالكهـا مثـل خـان جقمق وخان المرادية وخان سـليمان باشا وخان أسـعد باشـا وخـان السـفرجلانية وخان العامود وخان العصرونية وخان الصوّاف وخـان السـلق وخـان مـردم بـك وخان الجيجـاوي وخان الكزبري وخان شـموط وخـان القوتلي. ولعل أقـدم خان خارجي أنشئ في العهد الإسلامي هو الخان الذي بناه الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عام 748 ميـلادي، على مقربة من قصر الحير الغربي في البادية السّورية ليربط بين مدن العراق وتركيا والشام.

خان الرز

يقع خـان الـرز في منتصف سـوق مدحـت باشـا ويحده شـمالا خان أسـعد باشـا العظـم يفصل بينهما جادة سـوق الصقاليـن، ويحده شـرقا بعـض البيوت العربية القديمة والمحال تجارية، ويحده جنوبا سـوق مدحت باشـا، ويحـده غرباً سوق البزورية.

يتألـف الخـان مـن بوابـة حجريـة جميلة على شـكل قوس هو هيكل الباب الخارجـي مبنـي مـن الحجـارة البيضاء والسـوداء الأبلقية ويحيط بـه قوس ذو رسوم قوسـية هندسية مرسـومة حول حجـارة القـوس بالكامـل. بنـي الخـان على شـكل شـبه مسـتطيل وهـو خان صغيـر الحجـم بالنسـبة لبقيـة الخانات العثمانيـة، ومؤلـف مـن طابقيـن حول باحة مسـتطيلة. تم تقسـيم الخان إلى جناحين يقطعها مجاز قاطع مدعم برتل مـن الركائـز الضخمـة الحاملـة للقناطر الحجرية المساندة والملتحمة مع الأعمدة الحجريـة الحاملـة للقبتيـن ذوات الحجم الكبير. ويعود تاريخ إنشائه حسب بعض المصادر التاريخية إلى عام 1317 للهجرة 1899 للميلاد.

خان الحرير

يقع خان الحرير داخل أسـوار مدينة دمشـق القديمة في سوق الحرير بجانب خـان وسـوق القيشـاني، جنـوب الجامع الأموي، ويحده شـرقاً خـان التتن ويحده جنوبـاً شـارع عفيـف عثمـان العائـدي المتمم لشـارع معاوية ويحده غرباً سوق الخياطين، ويحده شـمالاً سـوق الحرير. وهـو من خانـات العهد العثماني، أنشـأه بحسـب اللوحـة الرخاميـة المحفـورة والمثبتـة فوق اسـفكة الباب سـنة 981 هجريـة الموافـق 1573 ميـلادي والـي الشـام العثماني درويش باشا بن رستم باشـا زمـن السّـلطان العثمانـي سـليم الثانـي. تبلغ مسـاحة هذا الخان الواسع 2. 500 متـر مربع، وتنفتـح بوابة الخان المزخرفـة مـن طـرف الواجهـة المبنية من الحجارة الأبلقية السـوداء والبيضاء، ويحيط بالخان خارجياً سـبعة وعشـرون مخزنـاً. وعندما نتجاوز بوابة الخان إلى الدهليـز المغطـى بقبتيـن صغيرتيـن متصالبتيـن نصل إلى الباحة السـماوية الكبيـرة الحجـم والمفروشـة بحجـارة سوداء بازلتية مسـتطيلة وبها بركة ماء كبيرة الحجم.

أطلـق علـى الخان اسـم قيسـارية درويـش باشـا، والقيسـارية هـي كلمة يونانيـة الأصل تطلق على البناء الملكي أو الحكومـي المبالـغ في جمـال عمارته وزخرفتـه. ثم تحول البنـاء ليصبح مكاناً للتجارة وللبيع والشـراء ضمن الأسـواق التجاريـة وكمسـتودع للبضائـع، وغالباً ما اختلطـت القيسـارية والخـان بنفس الوظيفـة، وقد أوقفه الوالـي العثماني درويش باشـا لصالح جامعـه الذي عمره في محلة الدرويشـية وملحقاته والكائن مقابـل قلعة دمشـق الأثرية وحي سـيد عامـود (الحريقة) خـارج أسـوار المدينة القديمـة. وفي منتصـف القرن السـابع عشـر تغيـر اسـم الخـان من قيسـارية درويـش باشـا إلـى خـان القذاسـيق، فاشتهر في تجارة الفرو الطبيعي القادم من قازاق سـتان وروسـيا، وصار اسـمه خان الفرو. ثم ما لبث في منتصف القرن الثامـن عشـر أن تغيـر أسـمه إلـى خان الحرير نظراً لسيطرة تجار الحرير عليه.

خان العامود

يقع خان العامود داخل أسوار مدينة دمشـق القديمـة فـي منتصـف سـوق البزورية، ويحده شـرقاً خان أسـعد باشا العظـم يفصـل بينهما سـوق البزورية، ويحـده جنوبـاً خـان الصنوبـر الفوقاني يفصـل بينهما زقاق ضيـق، ويحده غرباً وشـمالا البيوت العربية القديمة والمحال التجاريـة. ويعود تاريخ إنشـائه إلى عام 1295 للهجرة الموافق 1878 للميلاد إبان فترة ولاية الوالي العثماني المصلح علي حيدر مدحت باشا.

تعـود تسـميته خـان العامـود إلى وجود عمود ضخم الكتلة خشن الملمس كان قائماً فيه وسـط الفسـحة السماوية الداخليـة للخـان ومازالت هذه الفسـحة موجـودة، توضّـع علـى قاعـدة بشـكل صليب. وهو خان صغير الحجم مستطيل الشـكل. ويتألف الخان مـن بوابة حجرية جميلة على شـكل قوس هو هيكل الباب الخارجـي مبنـي مـن الحجـارة البيضاء والسـوداء الأبلقية ويحيط بـه قوس ذو رسوم قوسـية هندسية مرسـومة حول حجارة القوس بالكامـل أما الباب فيتألف من مصراعين كبيرين من خشـب الجوز مثبت عليه مسامير ضخمة. والخان عبارة عن بنائين شبه منفصلين أحدهما مجمع شـمالي كان بدون قباب، أما البناء الثاني أي المجمع الجنوبي له قبتين متجاورتين واحـدة باتجاه الغـرب والثانيـة باتجـاه الشـرق ويضم مجموعتيـن من المخازن ويتوسطهما العمود الذي مازال قائماً إلى اليـوم يحمل أسـاس عقـود حجرية. كما يقال عن وجود مرحلتين متعاقبتين على مراحل بنـاء الخان، بـدأت الأولى بالقرن الثامـن عشـر / التاسـع عشـر والثانيـة ببدايات القرن العشرين.

خان الصنوبر

يقع خان الصنوبر أو الخان الفوقاني داخل أسـوار مدينة دمشـق القديمة في منتصف سـوق مدحت باشـا على يسـار الداخـل إلـى السـوق. يحده شـمالاً خان العمود يفصل بينهما زقاق ضيق، ويحده شـرقاً خـان الـرز يفصـل بينهما سـوق البزورية، ويحده جنوباً سوق مدحت باشا وخان سليمان باشـا العظم، ويحده غرباً بعـض البيـوت العربية القديمـة ومحال تجارية.

روعـي فـي بنـاء الخان أسـلوب بناء صالات عرض البضائع التجارية المواكبة لنشـاط الخان مع وجود فسـحة سماوية كبيـرة فـي وسـطه، ووجود إسـطبلات للـدواب، وحمامـات ومطاهـر للنـزلاء، بالإضافـة إلـى غـرف لمنامـة التجـار بالطابـق العلـوي. وقباب خـان الصنوبر بدون رقاب وبدون نوافذ أو رقاب رمحية، وهذا يدلنا أن هـذه القباب المغطاة، وقد كن قبتين فقط وقد سقطتا إما من جراء الحريـق الـذي أصـاب الخـان أو سـقطتا نتيجـة عدم الصيانـة أو الهـزة الأرضية وبقي الخان على حاله.

بنـي الخـان على شـكل مسـتطيل منكسـر الضلعيـن الشـمالي والجنوبي، وهو خان متوسـط الحجم بالنسبة لبقية الخانـات العثمانية. يشـبه تخطيطه بناء خـان العمود ومؤلـف مـن طابقين حول باحـة مسـتطيلة، وتـم تقسـيم الخـان إلـى ثلاثة أجنحـة، يقطعها مجـاز قاطع مدعم برتل من الركائز الضخمة الحاملة للقناطـر الحجرية المسـاندة والملتحمة مع الأعمـدة الحجريـة الحاملـة للقبتين ذات الحجـم المتوسـط. وكان مشـهوراً ببيـع جميع أنـواع البقوليـات والصنوبر، وكان التجـار ينزلـون فيـه مـع قوافلهم وبضاعتهـم لبيعها في أسـواق دمشـق. ولكـن الخـان فقـد أهميتـه كخـان في نهايات القرن التاسـع عشـر عندما تحول مغزى استخدامه من خان لنزول القوافل التجاريـة فيـه إلى مسـتودعات للبضائع التجاريـة. ورد فـي سـجلات المحكمـة الشـرعية الشامية أن بناء الخان كان عام 1304 للهجـرة الموافـق 1886 للميـلاد وكان معروفا باسم خان الحماصنة.

تأثـر الخـان بالحريـق الضخم الذي شب بالمحال التجارية في تشرين الثاني عـام 1910، ونجا من هذا الحريق بعض نوافذ وأبواب الخان، وقد أعيد استخدامها مرة ثانيـة عند ترميم وتجديد الخان بعد عام 1910. احترق الخان مرة ثانية وتهدم قسم منه في عام 1343 للهجرة الموافق 1925 للميلاد، وصار يعرف باسـم الخان المحروق وهجره أهله وأصحابه.





كاريكاتير العدد للفنان سمير الخليلي

ليست مقاومة إغراء حمل السلاح ضد دكتاتور مستبد مجرد واجب أخلاقي يتوجب الالتزام به.. إنها أيضاً الطريقة الأفضل لتحقيق النصر

■ بقلم: إريكا تشينويث 24 آب2011

ترجمة: نورس مجيد

"المقاومة السلمية وسيلة مثيرة للإعجاب، إلا أنها ليست بالضرورة فعالة"

هذا ليس صحيحاً تماماً. ففي اللحظة الجيوسياسية الراهنة التي نمر بها، قد يبدو من الصعب اعتبار المقاومة السلمية أكثر فعالية في الإطاحة بدكتاتور مستبد من المقاومة المسلحة. لقد أوشك المتمردون المسلحون في ليبيا، تدعمهم الضربات الجوية لقوات حلف الشمال الأطلسي، على إنهاء أربعة عقود من الحكم الاستبدادي للزعيم الليبي معمر القذافي. وفي الوقت ذاته، وإلى الشرق قليلاً من ليبيا، قتل الرئيس السوري بشار الأسد دون أن يخضع للمحاسبة أكثر من 2200 شخصاً خرجوا ضمن تظاهرات، كانت في غالبيتها سلمية، للإطاحة بحكم استبدت به عائلته لعقود طويلة.

قد يبدو حسم هذا الجدل لصالح النموذج السوري في مقابل النموذج الليبي أمراً صعباً - ولكن الأدلة تشير إلى عكس ذلك. فالحقيقة هي أنه بين الأعوام 1900 إلى 2006، أثبتت حركات المقاومة السلمية الكبرى التي سعت للإطاحة بالديكتاتوريات، أو طرد الاحتلال الأجنبي، أو الحصول على حق تقرير المصير، أثبتت أنها كانت أكثر فعالية ونجاحاً بمرتين من حركات التمرد المسلحة التي سعت لتحقيق الأهداف ذاتها. لا نحتاج إلى الخوض بعيداً في الماضي لإثبات ذلك، فحتى قبل الربيع العربي، نجحت حملات المقاومة اللاعنفية في صربيا (عام 2000)، ومدغشقر (2002)، وأوكرانيا (2004)، ولبنان (2005) ونيبال (2006) في الإطاحة بالأنظمة التي كانت تحكمها وتمكنت من أزالتها من السلطة.

يعود ذلك إلى أن الحملات اللاعنفية غالباً ما يلتزم بها جمهور أوسع بكثير وأكثر تنوعاً من الفئة التي قد تلجأ إلى خيار التمرد المسلح. ذلك لسبب بسيط: وهو أن سقف التضحيات التي يفرضها العمل السلمي أقل بكثير: في البداية يتوجب على المنضمين الجدد للمقاومة اللاعنفية التغلب على خوفهم، ولكنهم لن يكونوا مضطرين أبداً للتخلي عن قناعاتهم الأخلاقية واستخدام العنف ضد الآخرين. المقاومة المدنية تقدم مجموعة متنوعة من التكتيكات التي تتسم بتدني خطورتها -على سبيل المثال يمكن العمل بتكتيك "البقاء بعيداً" (حيث يبتعد الناس عن المناطق المأهولة عادة بالسكان)، أو المقاطعة، أو العمل والتحرك ببطء (حيث يتحرك الناس بوتيرة بطيئة في العمل وفي الشوارع)- وهذه التكتيكات تشجع الناس على المشاركة دون أن تفرض عليهم تقديم تضحيات شخصية كبيرة. لقد شهدت الانتفاضة السلمية التي حدثت هذا العام في مصر تعبئة الرجال والنساء والأطفال والمسنين والطلاب والعمال والإسلاميين والمسيحيين، الأغنياء والفقراء على حد سواء، وهذه الدرجة من التعبئة لم تستطع بلوغها أي من التنظيمات المسلحة في التاريخ المصري المعاصر.

"المقاومة اللاعنفية ومنهج اللاعنف هما شيء واحد".

لا على الإطلاق. وعندما يسمع البعض مصطلح "لاعنف"، فإنهم غالباً ما يعتقدون بأن ذلك يشير إلى المقاومة "السلمية" أو "السلبية". هذه الكلمة قد تذكر البعض بجماعات السلام، أو بالأفراد المسالمين مثل الرهبان البوذيين في بورما، والذين يفضل بعضهم الموت على استخدام العنف للدفاع عن أنفسهم ضد الظلم. وهنا يحدث الخلط بين مصطلح "المقاومة اللاعنفية" و"المقاومة المدنية"، وبين مذهب "اللاعنف" أو "السلمية"، فالأخير يعبر عن موقف فلسفي يرفض معتنقوه استخدام العنف لأسباب أخلاقية بحتة. أما في حملات المقاومة المدنية، كتلك التي نشهدها اليوم في الربيع العربي، فإن عدداً قليلا جداً من المشاركين فيها هم من دعاة السلام. هؤلاء على العكس مجرد مدنيين عاديين قرروا مواجهة أوضاع لا تحتمل بعصيان الأوامر ورفض الطاعة- وهذه الطريقة متاحة لأي شخص سواء كان مناضلاً لاعنفياً أم لا. وحتى المهاتما غاندي، اللاعنفي الشهير، فقد كان هو نفسه مفكراً استراتيجياً لأبعد الحدود. لقد أدرك غاندي بأن اللاعنف ينجح ليس من خلال الالتزام بمبادئ أخلاقية رفيعة، وإنما بإطلاق حملة عصيان مدني شاملة تملك القدرة على إنهاء الاحتلال البريطاني للهند. يقول غاندي في هذا السياق: "يتعين علينا مواجهة سوء المعاملة بالصبر والتحمل. إن الطبيعة البشرية على درجة كبيرة من التعقيد بحيث أننا إذا ترفعنا بشكل كامل كل مشاعر الغضب والإساءة، فإن الشخص الذي يتمتع بممارسة هذه الأعمال سيصيبه الضجر وسيتوقف في النهاية".

"المقاومة اللاعنفية تعمل في بعض الثقافات بشكل أفضل من غيرها"

هذا ليس صحيحاً أيضاً. لقد ظهرت حركات اللاعنف ونجحت في مختلف أنحاء العالم دون تمييز. في الواقع، يستطيع الشرق الأوسط (والذي لطالما اعتبره الكثيرون في أماكن أخرى من العالم حالة ميئوس منها ومرجلاً متقداً من النزاعات والعنف) أن يتباهى ببعض أفضل النجاحات في هذا السياق، وذلك حتى قبل بزوغ شمس الربيع العربي. كانت الثورة الإيرانية التي أطاحت بنظام الدكتاتور الشاه محمد رضا بهلوي، وجلبت مكانه إلى السلطة آية الله روح الله الخميني، كانت حركةً شعبية سلمية شارك فيها أكثر من مليوني إيراني (ومن المفيد التذكير هنا بأن الانتفاضات السلمية، شأنها شأن الانتفاضات المسلحة، لا تتمخض دائماً عن النتائج المرجوة منها). فضلاً عن ذلك، حقق الفلسطينيون أفضل تقدم لهم تجاه حق تقرير المصير وتحقيق سلام دائم مع إسرائيل عندما اعتمدوا مبدأ العصيان المدني السلمي الشامل ضد دولة إسرائيل، فأثبتوا نجاعة المظاهرات والإضرابات وحملات المقاطعة والاحتجاجات التي سادت الانتفاضة الأولى بين الأعوام 1987-1992. أجبرت هذه الحملة إسرائيل على إجراء محادثات مع القادة الفلسطينيين وأدت في النهاية إلى انعقاد اتفاقيات أوسلو، وأسهمت في اقتناع الكثيرين في مختلف أنحاء العالم بأن الفلسطينيين يملكون الحق في الحكم الذاتي.

في الأمريكيتين، شهدت دول فنزويلا، تشيلي، الأرجنتين، والبرازيل انتفاضات سلمية أطاحت بعدد من القيادات العسكرية التي كانت تدير زمام الحكم فيها، وفي بعض الحالات نجحت في استبدالها بقادة تم انتخابهم ديمقراطياً. وفي مكان آخر من العالم، نجحت الحركة اللاعنفية المناهضة للفصل العنصري في جنوب أفريقيا في إحداث تغيير جذري شامل في المشهد السياسي والاجتماعي والاقتصادي في ذلك البلد، في وقت فشلت فيه النزاعات المسلحة التي قادها المؤتمر الوطني الأفريقي في إنجاز أي شيء يذكر. أوروبا، بطبيعة الحال، يمكنها تقديم بعض أهم الأمثلة وأكثرها شهرة في العمل اللاعنفي بدءاً من ثورات عام 1989 في أوروبا الشرقية، ووصولاً إلى حركة المقاومة الدنماركية ضد الاحتلال النازي خلال الحرب العالمية الثانية. كذلك الأمر في آسيا، فقد نجحت المقاومة اللاعنفية في اقتلاع أنظمة قمعية عتيدة في مناطق على درجة كبيرة من الاختلاف والتنوع مثل الهند والمالديف وتايلاند ونيبال وباكستان.

"الحركات اللاعنفية تنجح من خلال اللجوء إلى إقناع الخصم".

ليس دائماً. لا شك بأن وجود الأسس الأخلاقية مسألة هامة، ولكنها بالكاد تعتبر كافية. يجب أن تكون الحملات مربكة قدر الإمكان - حتى من الناحية الإستراتيجية- لإجبار الحكام المستبدين على التخلي عن مناصبهم. المقاومة اللاعنفية لن تبلغ غايتها بالضرورة بإقناع الخصم أو تغيير أفكاره، بل فقط عندما تنجح في تشجيع المصادر الأساسية للقوة التي يملكها النظام (كالبيروقراطيين المدنيين، والنخب الاقتصادية، والأهم من ذلك قوات الأمن) على رفض طاعة أوامره. لقد صاغ المفكر والأديب روبرت إنتشوستي ذلك بشكل أفضل عندما قال: "اللاعنف هو بمثابة رهان، ليس على مكونات البشر من خير، بقدر ما هو الرهان على تعقيداتهم المطلقة". وكما في حالة الحرب، فإن أساس نجاح أي حملة لاعنفية إنما يكمن في اكتشاف نقاط ضعف الخصم واستغلالها.

أنظر إلى الانتفاضة التي شهدتها مصر مؤخراً. لقد لجأت قوات الجيش والأمن المصرية للقوة المفرطة لقمع الاحتجاجات في الأيام الأولى للانتفاضة، بيد أن المتظاهرين المصريين كانوا مستعدين لذلك: تداول النشطاء -بإلهام من ثورات سلمية شهدتها سابقاً أماكن أخرى في العالم- مجموعة من التعليمات الدقيقة فيما بينهم ونشروها بين المتظاهرين لتوعيتهم حول كيفية الرد على هذا القمع، وبدأ انتشار النساء والأطفال والمسنين في الخطوط الأمامية في مواجهة قوات الأمن. شجعت هذه التعليمات أيضاً المتظاهرين على الترحيب بالجنود في صفوف الحركة، ونهتهم بشدة عن مجابهة رجال الأمن بأي نوع من أعمال عنف، فيما بذل قادة الحركة كل جهدهم لتصوير وتسجيل الممارسات القمعية ضد المتظاهرين السلميين ومن ثم نشرها.

في نهاية المطاف، رفض الجيش المصري الأوامر التي تلقاها لقمع التظاهرات، ما أدى إلى فقدان نظام حسني مبارك واحدة من أهم الدعائم الرئيسية لسلطته، وهنا مرة أخرى تملك المقاومة السلمية الأفضلية على رديفتها المسلحة: إذ يصعب على الجماعات المسلحة الصغيرة إقناع قوات الأمن بتغيير ولائها تجاه السلطة، على العكس من ذلك، فإن التهديدات المسلحة من شأنها أن تسهم في توحيد صفوف قوات الأمن الذين غالبا ما يتعاضدون معا للقتال ضد هذه التهديدات (ولهذا السبب تحديداً يصر النظام السوري على الادعاء بأنه يقاتل "جماعات مسلحة" بدلاً من المدنيين العزل).

"فقط الأنظمة الضعيفة أو ذات الإرادة الضعيفة تسقط أمام الثورات اللاعنفية"

هذا التصريح خاطئ. فقد أثبتت العديد من الحملات السلمية نجاحها ضد بعض من أعتى وأقسى الأنظمة الدكتاتورية على وجه البسيطة، حتى عندما كانت هذه الأنظمة في أوج قوتها. في الواقع، كانت الغالبية العظمى من الثورات السلمية الكبرى التي شهدها القرن العشرون تواجه أنظمة عتيدة عرفت بقوتها مثل نظام الجنرال محمد ضياء الحق في باكستان، سلوبودان ميلوسيفيتش في صربيا، أوغستو بينوشيه في تشيلي، وسوهارتو في إندونيسيا، فضلاً عن العديد من الحكام الإمبرياليين الذين استثمروا مصادرهم بشكل واضح في تعزيز سلطتهم على مستعمراتهم. حتى النازيون أظهروا ضعفاً نسبياً في مواجهة الاحتجاجات السلمية، ومثال ذلك كانت مظاهرة "روزنتراسيه" الشهيرة في برلين عام 1943، عندما نظمت مجموعة من النساء الألمانيات احتجاجات سلمية واجهن خلالها مدافع النازيين الرشاشة للمطالبة بالإفراج عن أزواجهن اليهود- لقد حققت هؤلاء النسوة انتصاراً صغيراً ضد أحد أكثر الأنظمة التي عرفها التاريخ إبادة وقمعاً، نصرٌ ما كان لأحد أن يحلم به لو فكر باستخدام السلاح.

وهنا يجدر القول بأن معظم الحملات اللاعنفية في القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين واجهت قمعاً عنيفاً وواسع النطاق. فعلى سبيل المثال لجأ النظام التشيلي تحت زعامة الدكتاتور بينوشيه إلى أساليب التعذيب المفرط والإخفاء القسري في محاولة منه لإرهاب المعارضة السياسية. في مثل هذه الظروف، بدا الانخراط في احتجاجات

شعبية مفتوحة عملاً خطيراً للغاية بالنسبة لمعارضي الحكومة، إلى أن حل العام 1983، حين أطلق المدنيون إشارة استيائهم الأولى حين بدؤوا حملة منسقة لإصدار ضجيج مزعج بطرق الأواني والمقالي – وهو ما يعد عملا بسيطا للغاية كان الهدف منه إظهار التأييد الواسع النطاق لمطالب المواطنين، وكشف ضعف قدرة بينوشيه على قمع الحركة بالأدوات التي كان يملكها.

خرج الناس إلى الشوارع تصدح حناجرهم بأغان كانت تتحدث عن الزوال الوشيك لـ بينوشيه - وهي ممارسة أغضبت الدكتاتور بشدة لدرجة أنه حظر الغناء في ذلك العام، بيد أن ردة فعله اليائسة تلك كانت دليلا واضحا على ضعفه وليس قوته. في النهاية، رضخ بينوشيه للضغط الشعبي، ووافق في عام 1988 على إجراء استفتاء شعبي حول إمكانية بقائه في الحكم لثمان سنوات إضافية. وهنا استغل زعماء المعارضة الفرصة لتنظيم حملات لاعنفية مباشرة ركزت على التصويت بـ "لا" في الانتخابات والحصول على أغلبية الأصوات والسعي للتحقق من نتائج التصويت بشكل مستقل، وفي النهاية محاسبة بينوشيه على ممارساته. وعندما بدا للجميع أن بينوشيه أوشك على الخسارة، اضطر الجيش في النهاية للانحياز إلى صف الشعب التشيلي ما أدى أخيراً إلى تنحي الدكتاتور عن الحكم.

"أحيانا لا يملك الثوار خياراً آخر إلا حمل السلاح".

هذا ليس صحيحا البتة. ولربما من السهل أن ننسى في خضم الأحداث الجارية في ليبيا أن الصراع بدأ هناك على شكل احتجاجات سلمية انطلقت من بنغازي في الخامس عشر من فبراير. سُحقت المظاهرات بقوة من قبل السلطات، واستجاب المعارضون لذلك في التاسع عشر من فبراير بحمل السلاح فشرعوا في قتل وأسر المئات من مرتزقة القذافي والموالين لنظامه. في خطابه الشهير الذي ألقاه في الثاني والعشرين من فبراير، قال القذافي: "الاحتجاج السلمي شيء، والتمرد المسلح شيء آخر تماماً". لقد هدد بالذهاب "بيت بيت، دار دار" بحثا عن المتمردين "الجرذان". أن قلة قليلة فقط من المدنيين ستكون على استعداد للمشاركة في المقاومة بعد تهديدات من هذا النوع، وما بدأ على شكل حركة شعبية سلمية تحول مباشرة، وبشكل لا لبس فيه، إلى تمرد مسلح بامتياز. ربما يبدو هذا التمرد اليوم قريباً من تحقيق أهدافه، ولكنه جاء بتكلفة باهظة جدا: فعلى الرغم من استحالة إحصاء عدد القتلى الفعلي حتى اليوم، تشير بعض الأرقام المعتدلة إلى خسائر بشرية قد تصل إلى 13000 قتيلا.

هل كان بالإمكان القيام بذلك بطريقة مختلفة؟ من السهل التحدث على ذلك الآن بعد فوات الأوان، ولكن إذا سنحت الفرصة للناشطين في ليبيا لإعادة تقييم تجربتهم، فقد يدركون بأنهم ربما ارتكبوا بعض الأخطاء. في البداية كانت الحركة عفوية إلى درجة كبيرة، على عكس الحركة المصرية التي تم التخطيط لها بشكل محكم وبدرجة عالية من التنسيق. من جهة ثانية، ركزت الحركة السلمية في ليبيا على تكتيك واحد فقط لتحقيق مآربها وهو المظاهرات، وعندما تعتمد أي حركة على تكتيك واحد فقط كالمسيرات أو المظاهرات يصبح من السهل جداً التنبؤ بخططها فيصبح المتظاهرون مجرد سرب من البط يجلس بهدوء منتظراً آلة قمع النظام.

أما الحركات السلمية الناجحة فتعتمد على الجمع بين تكتيكات مختلفة كالمظاهرات والاحتجاجات التي تخرج بالتزامن مع الإضرابات، وحملات المقاطعة، وتكتيكات "التحرك البطيء"، و"البقاء بعيداً"، وغيرها من النشاطات التي تجبر النظام على تجزئة آلة قمعه بطريقة تجعل من العسير عليه المواصلة. فخلال الثورة الإيرانية مثلاً، بدأ عمال النفط إضرابا مفتوحا هدد بشل الاقتصاد الإيراني، فردت قوات الأمن التابعة للشاه بالذهاب إلى ديارهم وجرتهم عنوة للعمل في مصافي النفط- وما كان من العمال إلا أن بدؤوا العمل بوتيرة بطيئة وبنصف طاقتهم الاعتيادية، وواصلوا القيام بذلك حتى جاء موعد الإضراب التالي وهكذا. إن حجم آلة القمع التي يحتاجها النظام لإكراه الجماهير كلها على العمل خلافاً لإرادتها يفوق قدرته تماماً، وهو يتطلب درجة مهولة من التنسيق بين الموارد التي يملكها والجهود التي يسعه توظيفها.

في الواقع، ما تعلمناه من التجارب السابقة كالتجربة الإيرانية هو أن أسلوب القمع المفرط والانتقامي الذي استخدمه القذافي لقمع التظاهرات السلمية في مستهل الثورة الليبية، نادراً ما ينجح ضد حركات لاعنفية تعمل بشكل منسق ومخطط له بشكل جيد. من جانب آخر فإن لجوء المتظاهرين إلى العمل المسلح أثار رد فعل عنيف جدا من قبل القذافي، وأسهم في الوقت ذاته في تخوف شريحة كبيرة من الناس ربما كانت على استعداد للانخراط في صفوف المعارضة السلمية والمشاركة في المظاهرات، وهذه الشريحة لم تكن لترغب في الانخراط في نزاع مسلح ظهرت فظاعته منذ اللحظة الأولى. إن أكبر المكاسب التي حققتها المعارضة الليبية قبل أن يعرض حلف شمال الأطلسي تقديم دعمه، كانت خلال المرحلة السلمية للانتفاضة، حيث نجحت المظاهرات الأولى في إغلاق البلاد وأثارت العديد من الانشقاقات بين صفوف الموالين للنظام من كبار المسؤولين، حتى أنها نجحت في ضم مدينة بنغازي دون إراقة تذكر للدماء. ولكن بمجرد لجوء المتظاهرين إلى حمل السلاح للرد على هجوم القذافي، أصبحوا مباشرة بحاجة لتدخل حلف شمال الأطلسي حتى تكون لديهم أدنى فرصة للفوز.

يمكننا كذلك النظر إلى الحالة السورية، حيث يبدو الخيار بين استخدام العنف أو عدمه على نفس الدرجة من الصعوبة والتعقيد. لقد أصدر الأسد في شهر آب/أغسطس، وبعد مرور أشهر على الاحتجاجات الشعبية السلمية، أوامره بإطلاق عملية عسكرية واسعة النطاق ضد مدينة حماه ذات الأغلبية السنية- والتي عرفت سابقا بانتفاضتها الإسلامية المسلحة التي واجهت وحشية أكبر بكثير في الثمانينيات-، بالإضافة إلى معاقل أخرى للمعارضة في مختلف أنحاء البلاد. حان الوقت لحمل السلاح، أليس كذلك؟

حتى في مثل هذه الحالات الصعبة تملك الحركات اللاعنفية عدداً من الخيارات، إذ يمكنها الاستجابة لهجمات النظام بتغيير تكتيكاتها. في الواقع، نجح الناشطون السوريون بالقيام بذلك بشكل جيد حتى الآن، إذ تجنبوا الوقوع في قبضة النظام باللجوء إلى المظاهرات الطيارة والمظاهرات الليلية والتي أثبتت جدواها فعلا في النجاة من القمع. أما المظاهرات التي تقام في وضح النهار فتلك يتم التخطيط لها جيداً، حيث دأب الشباب على تأمين المخارج وطرق الهروب، واستخدموا المرايا العاكسة لتسليط أشعة الشمس على القناصة لمنعهم من إطلاق النار على المتظاهرين.

وإلى اليوم، نجح الناشطون السوريون إلى حد كبير في تجنب إغراء الرد بالوسائل العنيفة على الاستفزازات والانتهاكات المتكررة للنظام- وهو ما يبدو قراراً هاماً وجوهريا فعلاً، ليس فقط لأن حمل السلاح قد ينفر الكثيرين عن المشاركة في المظاهرات ودعمها، ولكن أيضا لأنه يجعل قوات الأمن أكثر قبولا لطاعة الأوامر التي بحوزتهم لقمع الحركة. رداً على طرد الصحفيين من قبل النظام وقطع الكهرباء عن المدن المحاصرة، قام الناشطون السوريون بشحن أجهزة الكمبيوتر المحمولة الخاصة بهم باستخدام بطاريات السيارات، كما استعانوا بهويات مزورة للاقتراب من قوات الأمن لكي يتمكنوا من توثيق انتهاكات حقوق الإنسان ومن ثم مشاركتها عبر الإنترنت. وهنا كان للتعبئة المتواصلة التي عززتها هذه النشاطات دور كبير في مساعدة المعارضة على إقامة روابط مع بعض النخب التي لا غنى للنظام عنها.

وهكذا فإن المقاومة اللاعنفية هي في الواقع شكل من أشكال الحرب غير المتكافئة، يعتمد الطغاة فيها، وبشكل متوقع تماماً، على أفضلية القوة الغاشمة التي يمتلكونها وحدهم ويوظفونها في قمع المعارضين. لذلك تحديدا يكون من الأفضل محاربة العدو بالوسائل التي تملك الأفضلية فيها (في هذه الحالة: قوة الشعب، عدم السماح له بالتنبؤ بالحركات القادمة، التكيف، والإبداع) بدلاً من الوسائل التي يملك هو الأفضلية فيها.

"الثورات اللاعنفية طريق مؤكد إلى الديمقراطية".

ليس ذلك صحيحا بالضرورة. هناك ارتباط قوي بين الحركات اللاعنفية وبين تحقيق الديمقراطية، ولا ينبغي أن يكون ذلك مستغرباً: فهذه الحركات تتطلب مستوى أعلى من المشاركة السياسية وتتطلب انخراط المجتمع المدني (وهي العوامل ذاتها التي تسهم في ترسيخ أهداف الانتفاضة السلمية على المدى الطويل) وبالتالي تسهم في تعزيز الديمقراطية. ولكن ثمة استثناءات مهمة: الثورة الإيرانية، والتي تعتبر واحدة من أهم الثورات السلمية في العالم من حيث عدد السكان الذين شاركوا فيها، تمخضت في النهاية عن نظام شمولي وقمعي. في الوقت ذاته شهدت دولة الفلبين عدداً من الثورات السلمية ولكنها ما زالت تعاني إلى اليوم من صراعات داخلية لبناء الديمقراطية ومكافحة الفساد. الثورة البرتقالية في أوكرانيا كانت ناجحة بدورها إلى حد كبير، إذ بشرت بعهد جديد من التحرر السياسي، ولكن الانتكاسات الأخيرة قد تشير إلى أن البلد يمشي بالاتجاه المعاكس.

لكن من المرجح أن أياً من هذه النتائج لم تكن لتظهر بشكل أفضل بأي حال لو كانت هذه الثورات مسلحة. في الواقع، في معظم البلدان التي نجحت فيها الثورات المسلحة، كانت الأنظمة الجديدة على درجة من الوحشية تقارن على الأقل بالأنظمة التي أطاحت بها (يستطيع تأكيد ذلك أي شخص عاش في أعقاب الثورة الروسية، الثورة الفرنسية، والحرب الأهلية الأفغانية، أو الثورة الكوبية). وقد عبر عن ذلك أونغ سان سو كيي، زعيم الحركة المؤيدة للديمقراطية في بورما، والحائز على جائزة نوبل: "ليس من السهل أبداً إقناع أولئك الذين وصلوا إلى السلطة بالقوة بأن ثمة حكمة كامنة وراء التغيير السلمي".

خلاصة القول هي أنه في حين أن المقاومة اللاعنفية لا تضمن الديمقراطية، إلا أنها كفيلة على الأقل بضمان الحصول على أهون الشرور المحتملة. إن طبيعة النزاع نفسها غالباً ما تكون مؤشراً على شكل الدولة التي ستحصل عليه بعد أن يصل النظام الجديد إلى الحكم، وقلة من الناس تريد أن تعيش في بلد تم الاستيلاء فيه على السلطة والحفاظ عليها بالقوة والسلاح وحدهما.

الرابط الأصلي للمقال:
http://www.foreignpolicy.com/articles/201124/08//think_again_nonviolent_resistance

الفن رسالة وهو لغة العالم للتغيير

لقاء مع الفنان السوري خاطر ضوا

■ أجرى الحوار: جاد الرملاوي

الفن ثورة دائمة بكل ما يحمله من آلام الواقع وأحلامه ورسائل التجديد، فلا قيمة للفن إذا لم يعكس منبعه وأعاد إليه ما هو منتظر منه، المجتمع عموما ينظر لأبطال الشاشة والمطربين على أنهم نخبة المجتمع وطليعتها المثقفة، فهل حمل المجتمع هذه الفئة ما لا تحتمل؟ أم أن انقسامهم بين مؤيد ومعارض اضعف من قدرتهم عن التعبير؟

موهبة الفنان هي في التعبير بما نشعر به من غضب وضعف وحب وانتصار، هذا ما رأيته في فنان من الفنانين اللذين واكبوا الثورة من أول يوم، انتمى إليها وأحبها وهي مازالت في رحم الغيب، غنى منها وإليها بأغاني جميلة في صدقها ونقاء روح مبدعيها..

خاطر ضوا.. فنان من جيل ثورة الكرامة السورية، ولد من رحمها، بعد أن تربى موسيقيا على يد الفنان العراقي نصير شمة..

خاطر ضوا، ابن مصياف الأبية، لم ير في نفسه إلا جزءً من شعب ثائر نادى بحريته وكرامته، واعتبرها مسؤولية وواجب، يتجسد انخراطه بها بفنه الملتزم والجميل الذي قدمه ويقدمه دعما لأخوته الأحرار داخل سوريا..

سوريتنا التقت الفنان خاطر ضوا وكان لنا معه الحوار التالي:

| الفنان خاطر ضوا، حدثنا عن نشأتك، وهل ساهمت نشأتك بموقفك الداعم للثورة؟

|| أولاً أتقدم بالرحمة لأرواح شهداء سوريا والربيع العربي، وسلام لكل أمهات الشهداء وأطفالنا وإلى معتقلينا ومهجرينا في كل أنحاء العالم..

أنا من مواليد مدينة مصياف في محافظة حماة، كنت أشارك ببعض النشاطات الفنية في سوريا، ورأى بعض من المحيطين بي ومنذ وقت باكر أنه سيكون لي مستقبل فني مشرق، وكانت عائلتي وأقربائي من أشد المشجعين لي منذ الصغر.

في عام 2008 غادرت سوريا متجها إلى أبو ظبي، وعملت في مهنتي وكان لدي صديق حميم من بلدتي مصياف اسمه حسين الشيخ، يعزف الناي والسيكسفون أيضا، والذي شجعني على السفر إلى القاهرة لدراسة الموسيقى والتعمق بعالم الفن وهو السبب بلقائي بالموسيقار نصير شمة..

قبل المغادرة إلى القاهرة التقيت بالموسيقار نصير شمة وبعدما قمت بغناء موشح قال لي: عليك الذهاب إلى القاهرة للدراسة في بيت العود وكي تكون أمام عيني.. والحمد الله، كان مجيئي إلى القاهرة بداية في طريق النور، والدتي وأبي وأشقائي كان لهم فضل كبير بحياتي المهنية والفنية.

من الصغر تعلمت من والدي أن أتكلم كلمة حق ولا أخاف، ونظراً لحاجات بلادنا للثورات والربيع العربي، كنت مؤمن جدا بأن يكون هناك تغير نحو الأفضل.

| ما قبل الثورة، كيف كنت ترى المجتمع السوري، وهل كنت تتوقع حدوث ثورة نظرا لطبيعة التركيب للمجتمع السوري؟

|| المجتمع السوري أثبت للعالم أجمع بأنه شعب محب ومتعايش بكل أطيافه منذ مئات السنين بل آلاف السنين. فأنا أرى بأني المجتمع السوري أثبت عظمته بهذه الثورة. و سوريا كانت بأمس الحاجة للديمقراطية وحرية التعبير وخاصة أن كل فرد سوري تعرض للاحتكاك بحزب البعث والقذارة السياسية التي كانت تجري. ومن التأكيد أي ضغط يولد للانفجار.

لم يكن السوريين يوماً طائفيين ولا إقصائيين، وإنما ما جناه عليهم نظام البعث الشمولي خلال أكثر من نصف قرن قهراً وظلماً وتهميشاً إلا لمن تبعه ووالاه، جعل الخوف هو السمة الأكبر لدينا.. خوف من كل ما يحيط بنا، وتعلم تماماً كيف عاش السوريين عقوداً طويلة

لكن ليس لهذا أن يدوم، فالشعب يريد الحياة، وهي حق، حق واضح وأكيد.

| وما قبل الثورة هل صادفت مواقف كنت فيها معارضا، وكيف عبرت عن ذلك؟

لم يكن هناك أي حياة سياسية قبل الثورة وكانت إمكانية التعبير عن الرأي شبه مستحيلة، وكلنا نعلم بكمية العقول التي تم تهجيرها وتصفية البعض منها بعد حكم آل الأسد. حتى أنك لترى أكثر الخريجين السوريين الشباب ليس لهم هم سوى السفر والهجرة، والبحث عن فرص للحياة في مكانٍ أفضل، وتفقد سوريا أبنائها شيئاً فشيئا.

التعبير الأول الذي شاهدته كان من القاهرة، في الثورة المصرية، عندما رأيت الشعب المصري يريد إسقاط مبارك، ودهشت بعظمة كلمة ارحل، والشعب يريد إسقاط النظام، وانتابني الإحساس الأكيد بأنه سيأتي التغير في سوريا.

| مشاركتك بالثورة كانت منذ اللحظات الأولى، وهي من خلال تقديم فن ملتزم داعم للثورة، كيف بدأت أول أغنية للثورة؟

|| أول أعمالي. كان بعنوان (يا سوريا يا بلادي) وتم تسجيلها بمنزل صديقي بحر غازي بعد انتهائه من تلحينها وتسجيل الآلات الموسيقية من الأيام الأولى. من ثم قدمت عملين بعنوان (يا سوريا لا تسجلينا غياب. والوطن جنة) من كلمات شاهر خضرة لأحد الأفلام الوثائقية بعنوان (خارطة الخوف) من إخراج مها شهبا.

من ثم قدمت عمل بعنوان (شو بيقربك حمزة) من كلمات تيم عبد اللّه. ومن ثم (الحر قال سوريا) من كلمات محمد السيد وغيرهم من الأعمال الغنائية.

| الفنانون ليسو سياسيين والبعض اختار احد الطرفين، فكيف ترى أنت موقف الفنانين الآخرين من الثورة؟

من انضم لصفوف الثورة واجب عليه تجاه سوريا وتجاه نفسه، اختار حكماً الوقوف في جانب الحق والكرامة، له ولكل السوريين، ومن اختار البقاء بصفوف النظام فبالتأكيد لأن هناك يوجد مصالح مشتركة فاسدة وفاسقة بينهم.

الفن لا يحمل لغة القتل والعنف والاستبداد.. ولم يكن يوماً سوى رسالة للتسامح والعدالة والكرامة، ولا يوجد عمل فني يروج للكراهية والاستبداد.. الفن هو الأوثق والأكمل في الوصول لقلوب الناس وملامسة معاناتها وأحزانها وأفراحها، ومن ليس مع الناس يلي منهم، لذلك لا أستطيع تسمية هؤلاء بالفنانين، فهم شعراء السلطان، مثلهم كمثل جنوده ومشايخه ومواليه، ليس لهم غاية سوى إرضائه، والحصول على مكاسبهم، وآخر همهم هو الإنسان البسيط.

| لم يكن لبعض الفنانين موقف واضح من الثورة إلا بعد مرور زمن، هل ترى لتأخر البعض في الالتحاق بالثورة مبررا؟

|| ليس مبرراً لأي أحد في التأخر بالالتحاق بالثورة، الخير والشر ليسا نسبيين ولا خلاف عليهما. لكن ليس لنا إلا أن نراعي ظروف البعض، وأوضاعهم المعيشية، وكلنا نعلم ما يفعل النظام بالمنشقين من الجنود أو غيرهم، وليس الفنانين مختلفين عنهم، تذكر ما حدث مع عائلة مالك جندلي..



هناك من تأخروا بسبب هذه الظروف وغيرها، وهو مبرر لهم، وكانوا يعملون سرا في كثير من أعمال الإغاثة والكفاح السلمي والمدني داخل سوريا، لكن من التحق متأخراً لأنه أيقن أن النظام زائل وانشق ليحصل على مكانه في سوريا الجديدة، لسنا نحن من يحاسبه، فسوريا تحاسب الجميع، والجميع مطالبون بحبهم لها، مثلما تحبهم جميعا، كل من موقعه ومن خلال عمله وجهده.

| مع وجود العديد من الفنانين ممن يعملون بصمت، اكتفى بعض من الفنانين بالبكاء على أبواب خيام المهجرين مع بعض الصور التذكارية، بما تعزي ضعف مساهمة هؤلاء الفنانين بالثورة؟

هؤلاء من الفنانين الذين يعتبرون مشاركتهم بالثورة هي عبارة عن صورة تذكارية مع المهجرين والنازحين ليس لديهم حتى ذرة من ضمير، ليس لديهم أدنى إيمان بأنفسهم أولا، وبقدرة الشعب السوري العظيم على التغيير نحو الأفضل.

نعلم جميعاً تماماً أن هناك الكثير الكثير من الفنانين من يعمل بصمت وفي الداخل السوري وفي كل المجالات، من الإغاثة إلى دعم تعليم الأطفال ممن تهجروا ودمرت مدارسهم، من الدفاع عن حقوق المعتقلين، إلخ..

كان الأولى بمن ليس لهم عمل سوى التقاط الصور من المخيمات ونشرها على أنهم في قلب الثورة البقاء في مواقعهم والمشاركة كهؤلاء الجنود المجهولين وبصمت، فهو أجدى وأفضل.. وأعود وأقول: سوريا ستحاسب الجميع.

| كيف ترى استجابة الشارع السوري مع أغانيك؟

| | عليك أنت أن تسأل الشارع يا صديقي. أنا أغني لسوريا وللثورة وشعبي الذي أحب وأؤمن. هم من يعلمون ليس أنا.

| أنا اعلم الصدى الجميل لأغانيك في الشارع السوري وعمل (حمص يا أم الحجارة السود) أخذت حظا وافرا من الإعجاب حدثنا عنه؟

حمص عاصمة الثورة التي سحرت العالم أجمع بمقاومتها لكل قذائف النظام والمجازر التي ارتكبتها شبيحته وعندما كانت حمص تدك من قبل النظام كان هناك صرخة بداخلي أريد أن أوجهها لكل حر بالعالم بأنها حمص..!

تواصلت مع كل أصدقائي الشعراء وبلغتهم بأنني أريد كلمات ترتقي ولو بجزء بسيط لما يحدث.. حقيقةً وصلني رسائل عديدة بكلمات لكن كنت أرى بأنها ليست مناسبة.. فأبلغت صديقي الشاعر تيم عبد الله وبعد أيام أرسل لي نص من كلمات الشاعر الراحل نسيب عريضة ابن حمص الذي توفي في المهجر. خلال أيام انتهيت من تلحينه وقمت بتسجيله لأقدمه إهداء إلى حمص وشهداء سوريا.

| نعيش منذ سنتين في دوامة التصريحات الدولية النارية والمتضاربة مع مواقف لا ينقصها السلبية، هل ترى في مواقف هذه الشعوب ما يميزها عن مواقف حكوماتها؟ وكيف ترى كليهما؟

| | من الواضح تعاطف الشعوب مع الثورة مرة ومع المجازر مرات أخرى، ولكن بالمجمل لم تكن الشعوب بأفضل بكثير من حكامهم في التعاطي مع الوضع الاستثنائي في سوريا، إلا طبعاً من بعض الشرفاء الموجودون في كل مكان، إلا انه لم يرقى لمستوى ما يسيل في سوريا من دماء.



هناك علمانيون يكتفون بالتنظير على الأنظمة الاستبدادية التي لا تمول حساباتهم في البنوك، وعلمانيون ينتقدون المتطرفون الإسلاميون الذين بدورهم يضعون العلمانيون في نفس الخانة مع أنظمة الاستبداد ومع أي طائفة ليست طائفتهم، بينما معظم ممن شاركوا في الثورات العربية ومنها سوريا لا ينتموا لأي من الفريقين.

| بوجود مثل هذا الاستقطاب الفكري المشوه كيف ترى نفسك كفنان مفيداً للثورة وللسوريين؟

| | الفن رسالة وهو لغة العالم للتغيير نحو الأفضل، وتأثير الأغنية في الثورة واضح في التأكيد على أهدافها وقيمها التي خرجنا من أجلها في وجه الحاكم المستبد والشعب السوري كان وما يزال خير متلقي.

الفن يجسد حالة وصف ورؤية من وجهة نظر الفنان صاحب العمل الفني لما يراه، وبالتالي فإن كل عمل فني يمثل موقفا مؤثراً بشكل أو بآخر في فرد أو جماعات، لذلك أرى الفنان في حالة مسؤولية كبيرة تجاه ما يقدم وتجاه ما يفعل، فقد يكون مثالاً للكثيرين. فالفن مسؤولية أولاً، ومن هنا أعمل دائما لأكون أقرب للناس وللثورة من خلال أعمال تجسد معاناتهم وحزنهم وغضبهم وحتى فرحهم الآن وغداً.

الفن أو الفنون هي لغة موهوبة ومبدعة استخدمها الإنسان لترجمة التعابير التي ترد في ذاته الجوهرية وليس تعبيرا عن حاجة الإنسان لمتطلبات حياته رغم أن بعض العلماء يعتبرون الفن ضرورة حياتية للإنسان كالماء والطعام.

| بعد ما حل من دمار كيف يرى خاطر ضوا سوريا ما بعد الأسد، وأين ترى هذا الحلم بعد مضي سنتين على الثورة؟

| | أرى سوريا المستقبل تبنى من جديد، بريشة سراقب، ولافتات كفرنبل، وصحف الثورة، وهتافات الجميع نحو مستقبل أجمل، وكل عمل لا يُراد منه سوى بناء ما غُيّب طوال نصف قرن من الزمن..

نعم لقد تحملنا الكثير ومازلنا ندفع ثمن غالي جدا للحرية التي طالما عشقناها، ولكن علينا أن نحترم من ضحى لأجلنا بأن نكون عند حسن ظنهم في بناء سوريا التي كلنا نحلم بها مهما بلغت التحديات.

| من خلال متابعتك للثورة السورية، هل إحدى هذه التحديات هي محاولة البعض توجيه الثورة نحو الأسلمة وهل التخوف من طائفية أمر حقيقي؟

| | من متابعتي للأحداث وأنا خارج سوريا. طبعاً أرى بأن هناك بعض الحركات ممنهجة لسوريا، لكن أعلم جيداً بأن ليس من طبيعة الشعب السوري التعصب والتطرف وليس من مبادئ الثورة أصلاً أسلمة سوريا.

الموضوع الطائفي الذي ينصبه النظام بكل فيديوهاته المسربة وبكل مجازره وبكل لحظة مخيف طبعاً إذا وقع بفخه الشعب، لكن أنا على يقين بأن هذا الشعب محب لبعضه وللحياة ولا يوجد هناك تفرقة بين أبنائه، ولا أحد يريد تمزيق النسيج السوري إلا أعداء سوريا والإنسانية.

| هل ترى شعار "الشعب السوري واحد" مجرد شعار جميل أم إن الحقيقة غير ذلك؟

| | بالطبع حقيقة!!.. لو لم تكن حقيقة لما استمرت الثورة عامين من التضحية والنضال.. طوال عامين من القتل والاعتقال والتعذيب من شمال سوريا إلى جنوبها وغربها وشرقها مازلت تسمع "الشعب السوري واحد"..

الشعب السوري واحد من درعا إلى دير الزور، ومن اللاذقية إلى السويداء.. وهذه حقيقة، تراها في كل لحظة وفي كل مكان من سوريا الحبيبة، في كل شارع ترى الناس بقلب واحد وهم واحد وإرادة واحدة.. تراها في عيون الأطفال وفي عيون المهجرين، تختلط مع الحزن والقهر، لكن أيضاً الأمل، الأمل بغد أفضل لكل السوريين.

نعم هناك تجاوزات وأخطاء، لكن لا يجوز التعميم، من يعرف الشعب السوري يعلم علم اليقين بأنه لن يكون إلا واحداً حراً كريماً.

| بعد كل ما مررنا به وقد تجاوزنا السنتين ماذا يمكن ان تقوله للشعب السوري؟

| | من يقاوم إجرام النظام عليه أن يعلم بأنه يستطيع أعطاء العالم دروس مجانية بالأخلاق والضمير والحب والتسامح وانتم أهلها، رغم كل تآمر العالم على سوريا أرضاً وشعباً إلا إنكم انتم من يقرر تحديد مصير سوريا. وأنا على ثقة تامة بقدرتكم على الاحتمال، لو خيرت الأم بساعات المخاض لتخلت عن وليدها من شدة الألم، لكن جمال النتيجة تخفف من الألم، صبراً يا شعبي العظيم احتراما لمن رحلوا.. أنتم الحياة وبكم سينكسر قيد الطغاة.

| ما هي مشاريعك المستقبلية وكيف يمكن تراها بعد السقوط النهائي للنظام؟

| | الآن اعمل على إنتاج أول ألبوم لي بشكل رسمي بمنحة المورد الثقافي المصري بعنوان (نحنا طلوع الشمس) والتي ستصدر بها أعمال جديدة لأول مرة ذات أهداف إنسانية، وعندما يسقط النظام وأعود إلى سوريا سأكمل معك هذا الجواب.

محبتي وكل المودة والحب لكم، ولمن قرأ حديثنا هذا، عاشت سوريا بشعبها الحر.

خاطر ضوا الفنان والإنسان لن نرضى منك إلا الأفضل دائما لأنه ما تعودناه منك نحن من أحبوك ولأننا نعلم أنك لن ترضى إلا الأفضل لمن تحبهم، والى اللقاء جمعا على أرض الوطن لتحيي لنا احتفالات النصر في أقرب وقت، إنشاء الله في اقرب وقت.

شو هي الحرية اللي بدكن ياها؟

بالنسبة إلي الحرية مرتبطة بكتير مفاهيم و أشياء، مثلاً القيود مو بس الفكرية والحياتية بس كمان القيود المادية فبرأينا الحرية لازم تكون متلازمة ومرتبطة لتشمل كل مستويات الحياة وبتكون الحرية إلي بدنا ياها أنو نكون نحنا متل ما نحنا بدون ما نحس أنو هاد الشي ممكن يدايق غيرنا أو نكون خايفين منو..

يا ريت لو منصير بمستوى أنو كل حدا عندو الحق الطبيعي ليعيش حياتو متل ما بدو وعم يمارس هي الحرية وهو حاسس بالامان كونو الكل عايشين حسب الشي اللي هنن حابينو مو الشي المفروض عليهون.

وبالنسبة لبنتي الحرية أنها تكون عايشة بمكان أحلى ويكون عندا ست قطط..

سورية مغتربة

حسام عزوز

إذا الواحد شاف الوضع والسجال الساخن في سوريا بين أطياف المجتمع السوري يجد:

1 - الجميع ضد الطائفية.
2 - الجميع ضد التقسيم.
3 - الجميع ضد القتل.
4 - الجميع ضد الفساد.

ويتأكد من أن الجميع تكفيريين (علماني - متدين) ويمتلكون الحق المطلق ومن لا يتفق معك هم يمثلون الشر المطلق.. وهكذا دواليك تتورم الأنا وتقترب شيئا فشيئا من الذات الإلهية المحرمة عن النقد..

سعاد جروس

فيه شغلة غريبة صارت معي أكتر من مرة، مع أنه إلي طالعة من القصير 15 وخلالها كان ارتباطي فيها محدود بعائلتي وبشوية صداقات بالحارة من أيام المدرسة، ما بعرف ليش من فترة كل ما سافرت من الشام للبنان 24 ساعة بتصير الشام وحتى كل سوريا بذهني هي القصير.. يعني وقت بوصل لهناك وعم خبر حدا بقله لسه هي وصلتي من القصير، أو الطريق من القصير للبنان كتير كان عجقة، ووقت بدي ارجع بسأل أصحابي بتوصونا شي من القصير..!! وبنتبه للخطأ وقت بشوف بالعيون دهشة وبعده سؤال ليش أنت عم تروحي للقصير؟!! ـ لا.. من الشام والى الشام أعود.. بس كأني أنا صرت القصير..

تغريد سمون

تحت التعذيب ؛ أفرغ كل أحقاده بجسدي النحيل تفنن في إذلالي وأنتهك أدميتي تحت التعذيب كانت عيناه تقرأ في براءة حقي فتزيده تفنن في التعذيب وما كان لي من مخلص سوى الموت تدثرت به وشعرت بدنوي من لقاء الحبيب وطافت أمام نظر الموت أطياف من أحب ولقيت حتفي تحت التعذيب..

رولا الركبي

في أرض الدم وزهر الليمون، تكاد يدي أن تلامس طائرة الميج، تكاد أذني أن تنفجر من هدير القصف، لكن روحي طويلة، طويييييييلة!.. ما يجري ليس باقتتال، بل هو قتل ممنهج، هي ليست بوسنة جديدة، نحن لا نتقاتل، نحن نقتل!..

شهرزاد الجندي

نمر بمرحلة عسر هضم فكري، الكثير يجدون صعوبة في تقبل الرأيان الآخر أو يتقبل حتى مجرد نقده نقدا موضوعيا قائم على الحجة والبرهان، ربما لأنهم لم يتعرفون على هذا الرأي الآخر أصلا، بل يتعدى ذلك إلى حيث اتهامات الخيانة الفكرية واتهامات (بالوطنجية) (وبالمصلحجية) وقد تصل إلى الاتهام بالخيانة الوطنية أو حتى يمكن يقولوا انك من جماعة (المنحبكجية)..

منير الجبان

لا نستطيع أن نهرب من ذاكرة العقل الباطن مهما تهرّبنا منه أو هربنا فمن زمن الطفولة الأولى علّمونا إذا رأينا حلما مزعجا في الليل أن نذهب إلى الحمّام أوّل ما نفيق وندير وجهنا إلى الحائط ونتفّ ثلاث مرّات ونحن نستعيذ من شرّ ذلك المنام

هالا محمد

حبل الكذب الطويل قصير.. وستسقطْ. هذا الثمن الغالي ليس ثمنك.

فادي حسين

أطالب الحكومة السورية المؤقتة فرض "Tax" عالسياحة الثورية والتقاط الصور بالمناطق المحررة. فيها باب رزق مرتب عفكرة إذا بتفكروا فيها شوي.

يارا باشا

الصبح دخلت عالنت لقيت عامليلي تاغ عخريطة تشمل تقسيم سوريا وتحتوي فدرالية كوردية.. أنا كوردية سورية أنا ضد الانفصال.. بس هاد لا يعني إنو ما بدي حقوقي القومية كاملة.. بس بدي عيش مع كل أخوتي ورفقاتي بسوريا.. يلي هي للكل..

هشام عقل ابو جولان

يا أهلنا يا أخوتنا وأحبتنا في الخارج أضم صوتي إلى صوت الصديق والأخ أكاد مطالبين الجميع بالخارج بتحويل عواطفهم النبيلة تجاه شعبكم هنا في الداخل إلى أفعال حقيقية وملموسة نحن بالداخل نحتاج لكم وننتظر منكم الكثير.. نحن في الداخل ننتظر منكم ان ترتقوا فوق خلافاتكم لتكونوا على مستوى الدم المسفوح في وطنكم الأم. نتمنى عليكم جميعا أن تتكاتفوا وتقفوا إلى جانب أبناء وطنكم في الداخل وذلك على صعيد الدعم السياسي أو الإغاثي أو الإعلامي.. نتمنى منكم أن تشكلوا رأي عام ضاغط في الدول التى تقيمون بها لتغيير مواقف حكوماتها ولتتحمل مسؤوليتها الإنسانية والأخلاقية تجاه المذبحة المفتوحة في وطنكم. نتمنى عليكم أن تتداعوا إلى مؤتمر وطني إغاثي لمساعدة أبناء شعبكم في محنته التي طالت، والتي أوصلت الناس هنا في الداخل إلى بيع ما تبقى من أثاث منزلها من أجل رغيف الخبز. أبناء شعبكم في الداخل ينتظرون منكم الكثير.. المجد للثورة..

طريف الخياط

الدم السني واحد، لا تعدو كونها هرطقة، يطرب لها بعض الأصوليين السوريين، كي يفرغوا طائفيتهم المريضة.. فماذا يقول أولئك بخبر عن سلفيين مصريين يهاجمون منزل القائم بالأعمال الإيراني في القاهرة، لكن ليس من أجل سوريا، بل اعتراضا على تطوير علاقات مصر وإيران؟! ورغم التظاهرات والحوادث العديدة، هل تظاهر سلفيون أو إخوانيون في هذا العالم "السني" من أجل سوريا؟ أم أن دمهم السني مسيّس، وجرح سوريا خارج أجنداته؟!!! وفي المقابل أجندات أخرى تضخ في سوريا جهاديين سنة وشيعة، لصياغة نهاية بعيدة وغير سعيدة..

هالا نجاري

في دمشق يعتلي صوتُ الحمام ويمزجه أنين النار.. في دمشق تغني العاشقة ليل الحب وتسقيه من الم الدمار.. في دمشق تعلو ضربات القلب بكل قذيفةٍ تسقط من التتار.. في دمشق تدقينَ صوتَ الحَرية خافتا وستُعليه يوم الانتصار.. في دمشق أنا.. وأنا سأكون في دمشق جسدٌ واحدٌ نحنٌ وسنبقى..

مصطفى الجرف

سوف تنتهي هذه المأساة فقط عندما يتم اليقين بأن الديمقراطية ليست مجرد مطلب لطرف واحد، وإنما هي المخرج الوحيد للأطراف جميعا. أنا أتكلم طبعا عن الأطراف الشعبية السورية.. نظام الاحتلال الأسدي ليس طرفا في معادلة الديمقراطية والسلام لأنه حاضر كطرف فقط في معادلة الحرب: إما قاتلا أو مقتولا!

فدوى روحانا

في الحقيقة هنالك فعلا مؤامرة على الشعب العربي، من الغرب ومن الشرق، من الشمال ومن الجنوب، من الامبريالية ومن الشيوعية، من حكامه ومن تعلق بأذيالهم من جهات الكون الأربعة، من النخب ومن المثقفين، من يدعي الثقافة ومن ربما يمتلكها، من اليمين ومن اليسار، من وسط اليسار ومن أقصى أقصى اليسار.. وحده الشعب يثور بدون أي مؤامرة على نفسه..

يوسف فخر الدين

يا شباب يا صبايا هاي الثورات لتعيشوا وبفرح، وإذا الطاغية اجبرنا عل الموت فليس من الصحيح أن نستمرىء معركته ونمجد بالموت تحت أي عنوان. بدنا ياكم تعيشوا وتنتصروا وتواجهوا إجرامه بتقديس الحياة، بدنا سنة الحياة تمشي مؤسنة الطغاة ونموت قبلكم وإحنا ممتلئين ثقة أننا مستمرين فيكم..

ماجد كيالي

يخزي العين على الفصائل الفلسطينية، ولاسيما اليسارية" منها، يعني ولا كلمة عن ما يجري للسوريين، ولا بشأن التعاطف مع الضحايا، ولا عن تدمير سوريا من قبل النظام الفاسد والمنحط.. هي بس اكتفت زمان بقول أنها مع الإصلاح وضد التدخلات الأجنبية وانتهى! لكن الأشاوس الذين كانوا يدعون أنهم طليعة الثورة العربية خرسوا والأشاوس اللي كانوا يحكوا بالتحرر الوطني نسيوا معنى الحرية.. ومعنى الكرامة كرامة شعب.. هذا تعبير عن انهيار مفهوم التحرر الوطني وخواء فصائل التحرر الوطني لأن قضية الحرية لا تتجزأ ولا معنى لحرية ارض بدون حرية وكرامة مواطنيها.. وعموما من لا يرى نظام الاستبداد يقتل في السوريين ويدمر مدنهم لن يراه يقتل في الفلسطينيين ويدمر مخيماتهم..

في الطريق إلى الحسكة.. هنا في الريف الديري، تحول عمي «أبو عقال» إلى عمي «أبو الطِربوش».. فقد صارت خزينة النقود لديهم.. غرفا، ولم يعد الواحد منهم يعذب نفسه بإحصاء النقود بين السبابة والإبهام. بل أصبح يضع تلا منها على ميزان إلكتروني، ويزيده إلى أن يصل إلى «800 غرام» ليصرخ:»سجل مليون يا ولد».. فهو لا يجد الكتابة، إنما يجيد النهب فقط..

أنظر إليه.. فتوحي لي فطور قدميه بأنه لما يشبع من النهب بعد.. وتضحكني لافتته التي كتب عليها - وباللغة العربية الفصحى: «يوجد مازوط مكرر»... هنا في الريف الديري.. أصبحت الأسلحة المتوسطة والخفيفة تباع في بسطات على الأرض.. تماما.. كالثياب المستعملة والأدوات المنزلية المسروقة، لا أحد يستغرب منظرها.. تقف لتشتري فيجادلك طفل صغير أكمل عقده الأول بعمر الثورة.. يحاول أن يقلد الرجال، إلا أنه لا يستطيع حمل السلاح فيكتفي بالإشارة إليه، ثم يلقي بسعره بصوت عال.. فقد انعدمت الحياة والطفولة هناك، وسيطرت الأسلحة والأدخنة الكثيفة السوداء المتصاعدة مما يسمى «مصفاة « تكرير محلية الصنع.. اللّه يستر..

ضحى الفياض

أنا المواطنة السورية آية الأتاسي ابنة نور الدين أصرح وأنا بكامل قواي العقلية أن لا طموحات سياسية ولا قيادية في جعبتي لا لليوم ولا للغد.. كل ما يربطني بالسياسة هو ثأر قديم بيننا، منذ أن اختطفت السياسة والدي وتركتني يتيمة.. ثأري معها أصفيه عندما تصبح السياسة في بلادنا مسالمة.. ولا تهدم بيوت ولا تسرق أعمار البشر ولا تيتم صغار ولا ترمل نساء.. ولا تؤبد المناصب ولا تؤله الأفراد!.. أنا ابنة جيلي ومعاناته وأحلامه الموؤدة.. عشت كل انكسارته وأوجاعه.. وحلمتٍ مع هذا الجيل بسوريا أحلى.. لم أحس نفسي يوما ابنة لرئيس.. بل كنت وما زلت ابنة للسجن الكبير وأبي المعتقل فيه.. ربما الشيء المختلف الوحيد أنني كنت أحس نفسي محاصرة بالنظرات والعيون.. كنت أمارس رقابة مضاعفه على كل ما أقوله وأفعله.. وحدها الكتابه كانت تساعدني على البوح والتفريغ.. اليوم لم يتغير شيء.. ما زلت أقاوم القمع وأحلم بالانعتاق.. وما زلت أكتب.. ولكن دفتري الأزرق الصغير.. صار نافذة زرقاء وصار متاح للقراءة.. لا تحملوا كتفي ما لا يحتمل.. لست سياسية ولا كاتبه ولا منظرة.. إنما أنا أكتب لأشفى!..

آية الأتاسي

يوجد لدينا سوريّات.. نداء تجار الرقيق الجدد.. أقصر طرق العرب في التراحم،.. أرخص سبل التكافل.. (قضاء الشهوة).. بستار السترة.

في عرف بعض العرب اليوم:مساعدة النازح أن نتزوج ابنته.. وكأن الرجل هرب من ذل النار إلى نار الذل.. وكأنه جاءكم يشكو عنوسة بناته.. لا موتا يطارد النسل حتى أخر نطفة.. هرب بكرامته من هناك لتقنصوا ما بقي منها هنا، أو أن أرض الشام بنت السماء.. لم يعد فيها عرسان.. فاستكلبتم واشتعل السوق.. وكان النداء: (تزوج نازحة وادعوا لغيرها بالنزوح.). ونعم الإخوة أنتم.. وحمدا»للّه على نخوتكم.. ودونكم تلك الصبايا.. هنَّ لكم.. لا لم يهربن من حرب وهتك عرض.. بل سمعوا بفحولتكم وقطعوا المسافات تحت النار تحت الخوف ليصلوا اليكم عاريات جائعات بلا تكلفة.. جاؤوكم شوقا» وشهوة فلا تخذلونا.. ولا تنكسوا عقال الأمة جاؤوكم مستجيرين فأجرتم وزدتم.. مستصرخين ضمائركم فتحرك أغلى شيء فيكم.. ذاك الشيء بين فخذيكم.. أصحاب ذمة وشرع أنتم.. لا عيب في الحلال.. حلالكم.. وتستشهدون بالأحاديث زورا؟ (إني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة).. فلا تتوقفوا عن البذر والحصاد.. ياااااااا اللّه كيف تنتقون من الهداية ما يشبع غرائزكم.. واللّه لو رأى من بعثه الرب متمما» للأخلاق ما تفعلون.. لشكاكم إلى من خلقكم عبثا» عليه.. وصرخ إني براءٌ يا ربي من هؤلاء..

إيهاب دمشق



الشهيد صلاح صادق استشهد وحيداً على الحدود التركية في 2 / 1 / 2013، متأثراً بجراحه نتيجة القصف على حلب

صبارة سوريتنا

صبارتنا حيث لا أحد فوق النقد..
باب ناقد ساخر يتناول مواضيع سوريتنا..
مجتمعنا وثورتنا..



- 1 -

الشعب الأمريكي خايف من الصواريخ
والشعب الكوري خايف من الرد
وشعوب العالم خايفه من الحرب
والشعب السوري عم يطالع عليهون نكت
كبيرين نحنا

- 2 -

على فكرة الخارج والداخل متل بعضون
الشعب اللي برا متل اللي جوا أكلها بجنابو وماشي
والمعارضة اللي برا متل اللي جوا ما بيعرفوا يتوحدوا ولا بيعرفوا يتفقوا على رأي، وسايقين بهالشعب المسكين
وبالآخر هدول صورة لهدول وهدوك صورة لهدول ودود الخل منّو وفي

P. S

وقت كنت اهتف لحزب اللّه وأيدو كان في كتير عالم تقلي لك انت ليبرالي وعلماني كيف ممكن تأييد حزب اسلامي قائم على الخلط بين السياسة والدين ضد مفهوم الوطنية متل حزب اللّه.. كنت قلون هاد الحزب عم يقاتل مشان الحرية والكرامة ضد الاحتلال الاسرائيلي وما بيهمني إذا رفع سلاح تحت راية اسلامية.. واجت الايام وراحت الايام وبعدين اكتشفنا انو للاسف هاد الحزب مجرد حزب عبد لرايتو الاسلامية المذهبية البعيدة عن قيم الحرية والتحرر والكرامة الانسانية.. وندمت على كل النقاشات يلي كنت ناقشها مع الناس دفاعا عنو مع العلم انو مازلت مؤيد للمقاومة لكن

لما تكون وطنية مو لما تكون اسلامية بعد تجربة حزب اللّه..
و نفس الشي عم يتكرر هلئ مع الكتائب المعارضة السورية المسلحة يلي معظمها عم يقاتل تحت راية اسلامية مو تحت راية وطنية..
ما بدي آكل نفس الكم تبع حزب اللّه.. أنا معارض لكن ما ممكن أيد الكتائب المعارضة للاسباب السابقة وبالتأكيد مو مع النظام وقواتو الامنية والعسكرية القمعية.. بس ما ممكن كون مؤيد لاي طرف بالصراع العسكري،، وماني معول عليه واساسا هو كل مالو عم يتحول لصراع عبثي وكل مالو عم يتحول لصراع مذهبي سني شيعي ١٠٠٪ غير انو عم يحول سوريا لملعب للصراعات والنفوذ الاقليمي والدولي وبالنهاية الشعب والمدنيين رح يكونو الخاسر الوحيد والاكبر وهنن الوحيدين يلي رح يدفعو الثمن.

برعاية التيار الصهيوصليبي العلماني الليبرالي اليساري الماسوني الغربي السوري



عمل للفنان أمجد رسمي

المحشش السوري الإلكتروني

صورة للذكرى على سيرة سوريا عيونها خضر

بس تذكير للمؤيدين انّه بيوم من الأيام سوريا كانت عيونها خضر حتى عند المعارضين وهي الصورة من حماة بالفترة يلي كانت فيها المدينة كلها تنزل تتظاهر للحرية وضد البعث والنظام كانو المتظاهرين مشكلين لعلم العيون الخضر بأجسادهن بوسط الساحة
بس بهديك الأيام رغم انه ما كان في لا جيش حر ولا جبهة نصرة ولا اختلاف بالعلم ولا مجلس وطني، كانو هدول الناس انتو معتبرينون خونة وعملاء لبندر بن سلطان والحريري وبيقبضو مصاري لينزلو يحكو الحق وبياكلو سندويشات كباب ملفوفة بـ500 ليرة واعتبرتو انه يلي مو عاجبو النظام يطلع لبرا البلد وانه سوريا اسمها سوريا الأسد أو لا أحد.
فلذلك لا تستغربو لما هدول الناس يقررو يحملو غير علم ويشكلو قياداتن السياسية لحالن يلي تعبر عن مشاكلهن وطلباتهن ويحملو سلاح يدافعو عن حالهن (بدون ما ننسى التدخلات الخارجية وبعض الاستغلاليين المسلحين يلي هنن طرف ثالث بالأزمة) ولا تلوموهن عالتقسيم الاجتماعي الحالي بالبلد.
تقسيم الشعب السوري بلش من عند قنوات الإعلام يلي بتسموه وطني يلي قسمت الناس لوطنيين بيحبو الأسد من جهة وخونة وعملاء حصراً من أي جهة تانية وانتو يلي رفضتو المعارضين وابعدتوهن عنكن.
وبالمستقبل ما رح نرضى هالتقسيم ياخد أبعاد تانية وبدو يرجع الشعب السوري واحد بس يروح العنف ويبلش الشعب هو يلي يبني بلده بدون تسميات واتهامات وبعد محاسبة كل مين غلط باي سوري بريء مين ما كان يكون.

لا تشلشنا مشلوشين



مظاهرات خرجت من معابد بونغ يانغ تطالب بالحرية والكرامة
عزمي بشارة «الخبير» بالشؤون الكورية الشمالية يقول انو وقت الاصلاح ممكن
اربع معارضيين كوريين شماليين صدفت بيطلعو عالجزيرة وصدفت بيقولو كلهن نفس الديباجة «يلا ارحل يا كيم لو»
عزمي بشارة بيغير تحليله باقل من 72 ساعة وبيرجع بيحلل مرة تانية انو وقت الاصلاح انتهى..
وبيبيض صفحة المؤسسة
انشقاق ضابط «كبير» وتشكيله الجيش الكوري الشمالي الحر

فتاوي بالجهاد في كوريا الشمالية للقضاء على النظام الشيوعي الكافر
مؤتمر اصدقاء الشعب الكوري بينعقد فيتنام
مقعد كوريا الشمالية بيروح للمعارض يلي صدفت انو طلع عالجزيرة بجامعة الدول الشرق اسيوية
العربية بتضل عم تحط اخبار عن المجوس الصفويين بايران وعلاقتهن بالنظام الشيوعي الكافر بكوريا الشمالية مع صور لعناصر من حزب اللّه والحرس الثوري وهنن عم يقمعو مظاهرات المعابد بكوريا الشمالية
القناة الكورية الرسمية بتجيب محللين يحكو عن المؤامرة «المبينة» بدل ما

يحكو عن كيف منحلها..
من الآخر.. ما بياكلها إلا الشعب الكوري الشمالي.. ومن هون من المشلوشين بسوريا منقول للشعب الكوري الشمالي.. كل هدول يلي ذكرناهن سابقا وكل مين بيأيدهن جمعوهن وابعتوهن لعنا ونحنا البقيانين من السوريين يلي مو مع هدول تبعاتنا منطلع بدالهن لعندكن.. وهيك بيصير في بلدين.. الاول مليان عباقرة تحليل سياسي وصمود وحرية والذي منه.. عم يدبحو بعض.
وبلد في مشلوشين بيحبو يعيشو وبيحبو يعمرو بلدهن وما بيحضرو تلفزيون بنووووووووووووو

شلشناها عليكن

ستُ منمنماتٍ

برزَةّ، مسبقُ الصنعْ

■ جمال منصور

برزة مسبق الصنع.. فجر يوم ما..

منذ الأبدِ
تحملُ حبالُ الغسيلِ الفوضويةُ
الجواربَ المرتقةَ / الألبسةَ الداخليةَ
الملونةَ / صدرياتِ المدارسِ /
البنطلوناتِ مقلوبةِ الجيوبِ، الـ لا
تحملُ نقوداً، في العادةِ
وحكاياتٍ متراكبةٍ
كما تلكَ الشرفاتُ
المطلةُ
واحدها على الآخرْ
منذُ الأبدْ..
[غسيلْ]

* * *

ناحلٌ بشكلٍ ملفتٍ،
هذا المعصمُ
الـ لبسَ، ذاتَ زمانٍ
ساعةَ "سواتش" تهريبٍ / بلاكاً،
من فضة / سواراً، بعلمِ الثورةِ /
وكلبشاتٍ بلاستيكيةٍ، في سيارةِ
الدوريةِ
والـ باتَ يلبسُ الآنَ
خيطاً قماشياً
يتدلى منها رقاقةٌ ورقيةٌ
من صنعِ الصينِ
كُتب عليها
"أ - 3076"
في برادٍ للجثثْ..
[معصَمْ]

* * *

في الغرفةِ الأخيرةِ، في الردهةِ الباردةِ
الرماديةِ
من على الجدارِ الرطبِ
تتدلى أرجلٌ خشبيةٌ، في نهايتها شكلُ حذاءٍ
- يشبهُ أحذيةَ الضباطِ -
وأيدٍ شمعيةٌ، متجمدةَ الأصابعِ تصافحُ الفراغَ؛!
وصورةٍ للرجلِ الـ سيلاقي لها جميعاً
مالكينَ جددْ..
[في مشفى حاميشْ - 1]

* * *

في القبوِ الرطبِ
في البنايةِ المدهونةِ بالأزرقِ، بالكاملِ
في الحارةِ اللا - منطقيةِ الاتجاهِ
جلسَ الرجلُ ذو الشاربِ المائلِ للصفرةِ
يقلبُ ألبومَ صورٍ
فيهِ صورُ وجوههنَ السمراءِ
المبرقشةِ بالفقرِ، والعناءِ
المزدانةِ بأغطيةِ الرأسِ الـ كأنْ موحدةُ اللونِ
للمشترينَ
وكانَ يقهقهُ، من ما يشبهُ القلبَ،
وهو يقول
"إطلبوا الخدمةَ،
ولو في الفيليبينْ!!.. "
[سوقُ النخاسَهْ - فيليبينياتْ]

* * *

لطالما تصورتهُ
برجلٍ خشبيةٍ واحدةٍ، وصوتٍ أجشٍ عميقٍ
وعينٍ واحدةٍ لامعةٍ، حادةِ النظراتِ
وشعرٍ ذهبيٍ
وببغاءٍ ملونةٍ، على الكتفِ
كالقرصانِ "جون سيلفرْ"، مثلاً؛!
لكنهُ لم يكن إلا مديرَ مشفى،
موظفاً أخرَ -
اتضحَ أنهُ كانَ
قرصاناً، في نهايةِ المطافِ،
كذلكْ..
[في مشفى حاميش - 2]

* * *

في الساحةِ الصغيرةِ المخبوءةِ بين البيوتِ
حيثُ تنتهي كل التكسياتِ / والميكروياتِ /
وعرباتُ الزبالةِ / وشراميطُ البيوتِ الرخيصةُ
بينَ أعمدةِ الكهرباءِ الناحلةِ المائلةِ
هناكَ
حيثُ لا شيءَ يُحتملُ وقوعهُ
هناكَ
خرجَ الصوتُ
"سوريا بدها حرية"
ولم يعُدْ..
[بينَ البيوتِ، بين البيوتْ]

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (55586)

دمشق: 4282	دير الزور: 3672
ريف دمشق: 12430	الرقة: 570
حمص: 8805	السويداء: 43
درعا: 4839	حماة: 4071
إدلب: 6619	اللاذقية: 733
حلب: 8672	طرطوس: 81
	الحسكة: 341
	القنيطرة: 191

4112 عدد الأطفال الذكور
1801 عدد الأطفال الإناث
3742 عدد الإناث
11289 عدد العسكريين
44297 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات
في سوريا 6 / 4 / 2013
http://www.vdc-sy.info/

سوريتنا | السنة الثانية | العدد (81) | 7 / نيسان / 2013
أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر